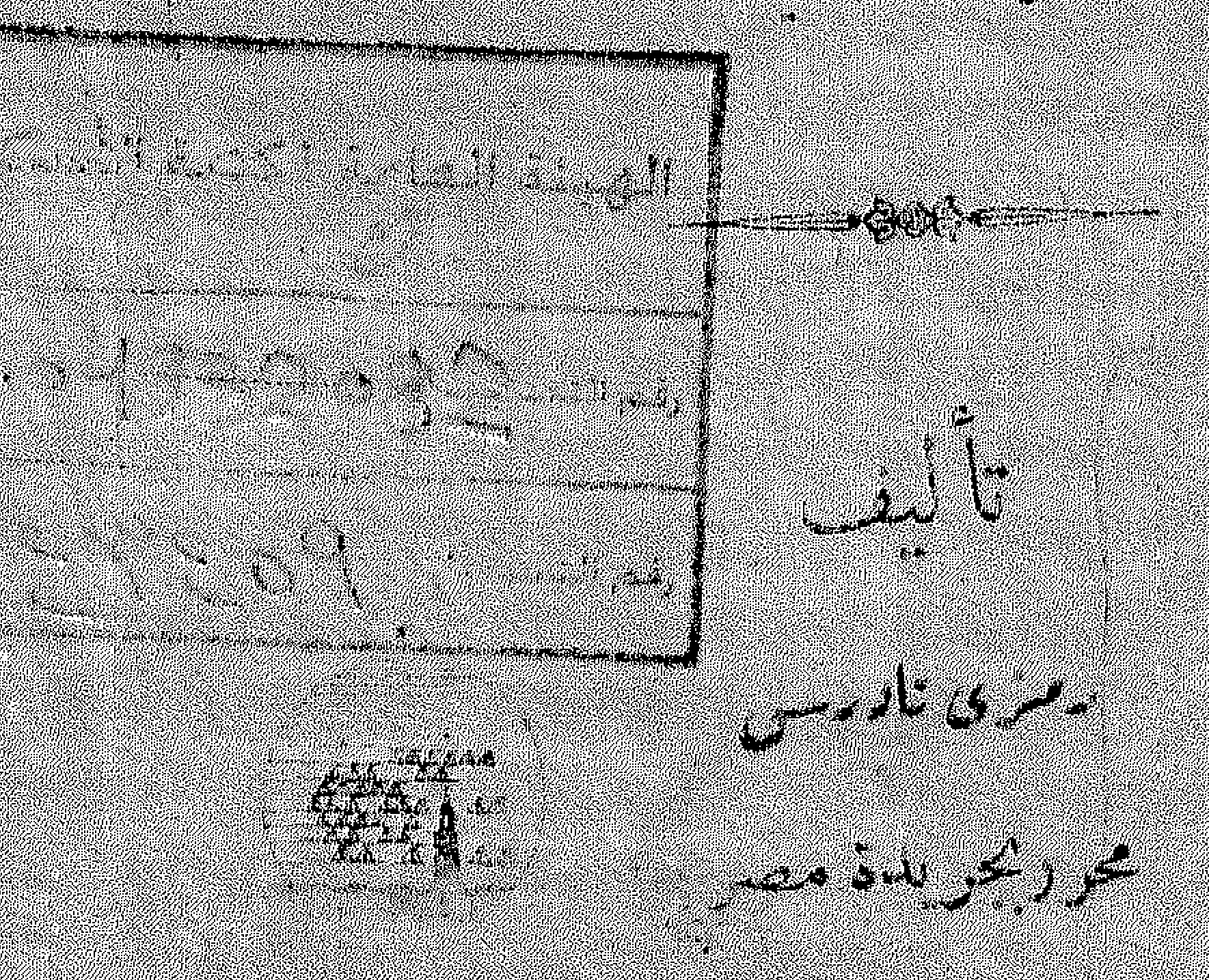


الاقباط في القرن العشرين

الجزء الاول

كتاب يبحث في نشوء الامة القبطية
وأحوالها الاجتماعية والدينية
والعلمية والصناعية
والاقتصادية



تأليف

رمزى تادرس
محرر جريدة مصر

(طبع في جريدة مصر سنة ١٩١٠)

المقدمة

اخواني الاعزاء

ان هذا الوادي الفسيح الذي نشأتم قبل كل أمة في العالم فوق أديمه وأعليتم قبل كل مخلوق في الوجود شأنه قد امتلأ في هذا الجيل قلوبا حية تتحرك وتحسن العمل ودبت فيه نهضة عمليه حدت بي الى وضع هذا الكتاب الذي أقدمه اليكم بصفتي فردا من أفرادكم يشعر شعوركم ويعتقد اعتقادكم لان التطلع الى الامام خير من الوقوف عن التقدم

واذا كان بيننا وبين شاطئ التقدم محيط كلما ازددنا تباطئا في الوصول اليه كلما ازداد اتساعا فحري بنا أن لا نقتصر على تقدمنا البطيء لاننا حينئذ لا نقطع من هذا المحيط الا كما تقطع الزوارق الصغيرة من عبابه الزاخر بل حري بنا أن لا نسعى كغيرنا سعياً عقيما للحصول على نظامات اجتماعية وهمية قد صورتها لهم التخيلات بالوان فاخرة فاقتبلوها على عيوبها وعوارضها غير ملتفتين الى صعوبة صب موادها في قالب استدعته العقول الحديثة والافكار العالية والمبادئ الشريفه والحضارة النامية في حقول الغربيين وانما ينبغي أن نسعى في الحصول على هيئة اجتماعية قابلة للاستمرار والبقاء وداخلة ضمن حدود القانون العقلي ودائرة [illegible] ان ليكون بيننا وبين الجهل مسافه ما بين الرق والحرية

الشعب القبطي

١

الشعب القبطي قوته في عقله وفي عمله
وجده «كليبر»

الشعب القبطي بقية امة عريقة في المجد . تليدة في الشرف. كبيرة في السلطان وضخامة الملك . ترامى عليها قمبيز والاسكندر في صدر الاجيال الغابرة كما يترامى الاسد المفترس على فريسته ليمزقها فقد شقيت أيام قمبيز وأيام الاسكندر وشقيت بعدهما من عهد العرب الى عصر المماليك حتى لم يبق لها الدهر مطمعاً في ملك . ولا مطمحاً في عرش . ولا مطلباً في استقلال . قتل الرق كل قواها . والشقاء كل عاطفة حية في صدرها الا عاطفة الاخلاص لمن أحسن اليها

وقد جاء من حسن حظ ذلك الشعب العتيق الذي شاخ في ظل الاضطهاد وميادين الاستعباد واستكان للبؤس والشقاء زمناً طويلا خروجه في صدر الجيل الماضي من معترك الحياة . ومن مقاومة الشعوب . ومن قيود أمم تولت قياده اجيالا وقرونا يحمل اعلام الحرية وألوية الجد والنشاط فكان اكبر معين لمحمد علي باشا في مشروعاته وأعماله العظيمة التي أحيت مصر من الموت ومهدت لها سبل المدنية وفتحت أمامها أبواب الرزق والجهاد وكان محمد على اكبر نصير له في الحرية وبسطة العيش حيث لم يلق فيه الا كل حسنة . ولم ير منه الا يداً

قوية في العمل . وشعوراً حياً . واخلاصاً كبيراً . وعقلاً سامياً عالياً اختبأ عدة قرون في حضن المظالم والمغارم .

انارت المدنية عقله . والحرية عواطفه . وعلمه الشقاء كيف يجد ويسعى . وعرفته توالي الايام وكرور الاعوام كيف يتحصل على الرفعة والثروة . وأخذت الافكار الحرة والمبادىء السليمة تمتد وتمو وتكبرفيه حتى بلغ في ذلك العهد من الرقي الادبي والحيوي ومن الجاه العريض الطويل والنعم الوافرة مبلغاً يحسده عليه اجداده في عهد العرب وعصر الاتراك

انتقل بعد ذلك الى حكم ابراهيم فعباس فسعيد فاسماعيل فتوفيق فعباس وهو يتنقل كالكوكب من برج الى برج نخرج من الجهل الى العلم . ومن العلم الى الغنى . ومن الغنى الى النور . ومن النور الى عالم المدنية والحياة كانه يرى كل هذا الوجود حياة له يسبح في تيارها ويرى نفسه شعب هذا الوجود يتدافع في محيطه اللانهائي للعمل والجهاد . ثم تذكر منزلته الاولى ومركزه السامي فكبرت نفسه واندفع الى الاصلاح الحقيقي والمدنية الصحيحة باعادة نشر العلوم والمعارف والفنون والصنائع التي كانت أجل ما زمت عليه افكاره بعد طول الاحتجاب وأثبتت انه شعب حي قائم قاعد لا يهمد لسانه من بيان غرض ودفع وهم ورد حجة وتصريح مبدأ ولا يستريح عقله من عمل حتى يشتغل بآخر فهو في حركة قوية دائمة العمل والاجهاد لا هي

تهدأ ولا هي تقر على قرار ما لم يصل الى أوج المدنية ومرتقى الكمال.

هـذا هو كل الشعب القبطي الذي حفظت له المشيئة ذرية حية الى يومنا هذا وبقيت تلك الذرية ذخيرة من ذخائر الفراعنة واشعة من اشعات الآلهة وقوة من قوى الطبيعة العامـلة التي احيت الاجيال في الشقاء والعذاب دون ان تموت اوتخمد عزيمتها المـاضية التي أبلغتها الى موقفها الاخير وجاءت دليلا من الادلة الساطعة على تأثير العلم في العالم وسلطه الجد في رجال الجد وعظمة العقل عند أهل العقول

على اني اذا قلت ان هذا الشعب القدير شعب حي مجاهد في سبيل رقيـه وتمـدينه وقلت أنه اشتهر بالذكاء المفرط وسمو الادراك والدهاء والقوى العقلية العاليـة فأنا أقول أيضاً أنه لم يزل مع كل هـذا الجهـاد الحيوي في سن الشباب وان اكتهل بل لم يزل في أول خطوات المدنية تنقصه حاجيات حيوية كثيرة تنكصه عن التمام بعـد أن قاربه ولا يبعد ان تكون تلك الحاجيات سبباً قويا في مستقبل الايام لان تجعل غيره من الشعوب المحيطة به أو الطوائف المتمصرة في بلاده ان تسبقه الى المدنية العصرية بمراحل بعيدة هيهات أن يصل اليها بعد فيعود الى الوراء ويصبح كما كان عليه في عهد الظلمات والشقاء

على ان تلك الحاجيات التي تنقصه ليست عظيمة الى حد لا يستطيع أن يقوم بها ولا هي عويصة لا يقدر ان يفك وثاقه ويحل قيوده منها انما هي تحتاج الى مال وبسط يد . تحتاج الى رجال ورابطة تحتاج الى نفوس

رقيقة تغار على أبناء جنسها . تحتاج الى تغيير غير قليل في عاداته وفي حياته العلمية والادبية والعائلية والملية بل تحتاج الى همة عالية ان قلت في فريق فلا تقل في فريق آخر يدرك ان عليه واجبات نحو أمته فيجمع ما تفرق من قواها . ويوحد ما تعدد من نزعاتها . ويؤلف منها جسداً قويا لا تعبث به العلل والآفات . والا لا تقوم لها قائمة . ولا يرتفع لها مجد . ولا تشيد لكيانها دعامة ارتقاء مهما كانت نهضتها الافرادية وكان سيرها السريع في ميدان التقدم والحضارة .

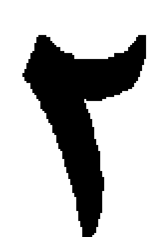
ولعمري ان تلك الحاجيات الحيوتية هي وحدها التي جعلت هذا الشعب القدير بعد ان رأى صور القياصرة والخلفاء ونابليون ومحمد علي الكبير يتوجع ويتألم لان انفراد كل فريق فيه لذاتيته وتعدد المشارب والميول في مجموعه مما أدى الى تأخر رقيه ان لم يدعو الى تقهقره وانحطاطه في مستقبل الايام . وقد لا استطيع سرد تلك الرغبات والميول المتفرقة المترامية الاطراف التي نراها تظهر فيه وتختفي وهو بينها يتجزأ وينقسم الى أحزاب وفرق يميل تارة الى احداها ثم ينقلب عليها ثم يفسح لغيرها مجالا في صدره ثم يعود فيعبث بها كلها ثم تهتاج عواطفه الى درجة الثوران لترقية مجموعه اذا ما شعر بضعفه ثم لا يلبث ان يخدر تلك العواطف بقوة الضغط عليها أو بتأثير القوى الحاكمة على النفس التي تلاشي الانفعالات الشديدة وتخمدها . وعلى توارد تلك العوامل الشديدة التي تهب وتسعى فيه وفي كل مجتمع انساني يماثله صورة ووضعاً تجد

النار تتقد في المرجل والافكار تحوم حولها حومة آلة الاطفاء في كبد السعير ولكنها لا تستطيع ان تخفف الوقد ولا ان تتمكن من ايقاف الغليان عند حد لانه في ثورة هائلة ليست في احيائه بل في افكاره ومعيشته وبيوته ومعابده لكنها بلا ثمرة ولا نفع يرجى من وراءها كما قلنا وما اشبهها بهياج طفل يبكي ويصيح ثم لا يلبث ان يسكن ويلهو بما في يديه من طرف اللهو واللعب بل ما اشبهها برضيع يقضي اوقاته وساعاته مستسلما على ثدي امه حتى اذا رأى ما يبكيه عاد الى البكاء والعويل فلا تنتهي دمعته الا باغماض جفنيه تحت سلطان الكرى . هكذا تمر الحياة على هذا الشعب . وهكذا يعيش وهو لا يدرك منها شيئا حتى لتجدن جل مجموعه لا يبكي لموت ولا يبتسم لفرح ومن كان لا تجول فيه نفس ولا يخفق في صدره قلب لا يعرف بطبيعة الحال شيئاً مما يحيط به وان عرف فحسبه حياة كلها أحلام وأمال كاذبة أشبه بالهواء في الفضاء تشعر به ثم لم تره

واذا كان هذا هو حال الشعب الذي عرفه العالم منذ عشرات من السنين متمسكا بعوائده القديمة ونواميسه القديمة وشرائعه القديمة ثم رآه منذ عهد قريب ذاهباً مع التيار الفكري الغربي الذي يطلع عليه من وراء البحار والجبال فقد يراه اليوم يتخبط بين العتيق والحديث فلا هو يعرف كيف يتبع الاول فيعمل بعوامله ولا هو يدري كيف يسير على نواميس الثاني فيسير في تياره . وما كان جهله الا نفس النتيجة التي

قدمناها وتنحصر في تقاطعه وتباعده وتفرق آرائه وميوله وتشتت أفكاره فوق تلون مشاربه الذي يدب في صدوره كلما هبت عاصفة ما لاخماد عاطفة اخائه ولا يبعد ان تخمد هذه العاطفة فتموت سعادته هذه وتتعدد اتجاهاته ويقف دولاب حركته القومية والاجتماعية وعنده يفوز من شقاء العمر وسوء الطالع الذي تخلل خطواته بما يعجل المنية ويدني الاجل وينزل بافراده الى القبر قبل الاوان .

تلك هي أهم الاسباب التي تقف حجر عثرة في سبيل كماله بل تلك هي الدواعي التي يئن منها ويشكو ولا يجد له منها مخرجا يحقق أمانيه فلنبحث فيها بحثاً دقيقاً نتوصل منه الى كلمة تمكننا من هدم الاسوار التي تحجز بينه وبين التقدم الصحيح ومن سد الهوة العظيمة التي تفصل عنه نور التمدن الحقيقي لتتضح له العوامل الموصلة الى السعادة والراحة . فان أدركهما وعمل بهما كبر مع الايام ونما مع السنوات وأصبح رفيع الجانب عزيز القدر مؤيد الكلمة محفوظ الكرامة مصان الحقوق واذا ما أصبح كذلك ظهر له وللذين يسلقونه بالسنة حداد ويصوبون نحوه سهام الاكاذيب ان فيه قوة اذا عمل بها حسنت واذا اراد بها فعل واذا فعل بها نجح وفلح.



الاخاء وحب الذات

٢

الاخاء أشبه بفن جميل تلزم مداولته ومزاولته
بالمحبة والتناصر ومشاركة الاحساس

يقولون ان عاطفة الاخاء عند الشعب القبطي لم تزل طفلة رضيعة لاتعرف احدا ولا يعرفها احد ومن العبث ان يعرفها الكاتب بالشعب او يعرف الشعب بها وهو شديد الاعتقاد بطفوليتها وصغرها الشدة ما لاقاه في الاجيال الغابرة من عوامل الظلم التي مزقت شمله وفرقته في عرض وادي النيل .

وقد انتقل في كل هذه الاجيال من ملك الى ملك . ومن عرش الى عرش . ومن امة الى امة . ومن حضارة الى همجية . ومن همجية الى حضارة وتقلب في كل ادوارها مسترقا فمستضعفا فهاربا فصبوراً حتى جاءه محمد علي الكبير يحمل اليه الحرية بكل ما فيها من الحياة والنور والسعادة والهناء فاستقبله بتراتيل الفرح ومزامير الحب وفتح له قلبه وفكره وعقله . فكأنه ماعرف الحياة الحرة التي تعلمه الاخاء الا في وائل الجيل الماضي ولا عرف العدل الذي يعلمه المساواة الا في عهد البيت الخديوي الكريم .

وقد تكون تلك الذرية التي تحمل مجد مصر القديم حافظة لاخائها

القديم ورابطتها القومية وقد تكون بريئة مما ينسب اليها انما اختلاف اعمالها واطوارها وتباين خطواتها اوجد الشك في النفوس من انها لا تجتمع مع بعضها الا وتتفرق . ولا تنضم الا وتتباعد . ولا تتحد الا وتتخاذل . وما تغيرت اطوارها واعمالها الى هذا الحد الا من ضغط عوامل الرق والعبودية والظلم والشقاء على عواطفها حتى مزقت ثوب اخائها واوجدت في صدورها ميولاً جديدة تكشفت عن حاسات رديئة كحاسة حب الذات. وحب الظهور. وحب الرئاسة. وحب الاثرة بكل شيء وحتى اصبح كل فرد فيها لا يرى نفساً غير نفسه تعشقها فاماتته. واحياها فقتلته بل قل ان هذه الحاسات اوجدت فيها التنافس المضر الى حد قد لا يتصوره العقل من حيثية انها تأكل بعضها بعضاً دون ان تشعر وتبيد نفسها بنفسها دون ان تدرك لقوة التيار الذي يقذفها من اطوارها الاخلاقية المستحدثة ومن غيرها من الشعوب المحيطة بها . وعلى كلمة اوسع اقول انها امة استعبدت علمها الاستعباد حب الذات فاصبح كل فرد فيها يقدس ذاتيته ويمجدها ولو ضحى في سبيلها امته وما فيها لتعوده بحكم الطبيعة التماس المخرج لسلامة نفسه والاستعانة على بقاء حياته .

واذا ما بحثنا في أسباب ذلك الاستعباد ومسبباته لوجدنا مرجعه الى أن هذا الشعب الذي كان ينعت بشعب الارض القديم حينما أضاع ملكه من يده ورأى سقوط عرش وقيام عرش تبدل النعت وأصبح

شعب الارض القديم الشعب المستعبد ونسل الفراعنة الوجود العدم . اي انه عاش عبدا خاضعا مسترقاً لشعوب الارض التي تولت قياده وسامته الخسف والهوان وهو صاغر بل عاملته بقساوة وتوحش لا مزيد عليهما في تاريخ العالمين وهو ساكن حتى شاخ من الظلم والجور ووقع في اليأس يتخبط بين ظلمات الرق وشقاء الحياة دون ان يذوق لذة الراحة أو يعرف معنى الهناء . على ان نفسه الابية أبت ان يبقى مقيدا باغلال الظلم موثوقا بقيود المغارم تحت عروش الظالمين وهو الشعب الذي ملأ وادي النيل جهاداً وعملا والعالم حكمة ومدنية فاندفع للتخلص من تلك القيود الثقيلة بان تفرق وتشتت واتخذ الاديرة مسكنا يأواها ويستظل باعمدة هيا كلها ومعابدها بين الهدؤ والسكينة ثم اخذ في مقاتلة الطبيعة وبني لنفسه قصوراً من الاحجار الضخمة القوية التي لم تؤثر فيها مرور الاجيال والقرون بل بقيت الى اليوم اثرا خالداً من آثار اولئك الاباء المساكين الذين استعبدتهم الامم وعذبتهم هذا العذاب الشديد كما بقيت صورة نقرأ فيها كيف كان في تلك الايام الخوالي قويا يتحمل ما لا يحتمل وكيف كان يعيش بين مضاضة العيش والتقشف دون ان يرفع صوتاً أو يحرك جانبا وكل ذلك كبر نفسه فاحبها ومال اليها أو بالحري صار محباً لذاته . اذن فقد أوجد فيه الرق والعبودية والظلم محبة الذات .

وقد ظلت تلك العاطفة الذاتية تتغلغل في صدره الى اليوم وان لازمها

وقوع النزاع مع العواطف الاخرى التي طبع عليها كايثار النفس الى حد التضحية في سبيل المخلصين اليه والمنقذين لحياته من الاندثار والتلاشي . وليس بالغريب ان يدوم النزاع قائما الى هذا العصر الذهبي الذي تخلص فيه من كل عبودية وارهاق لانه كان حتى عهد الاتراك والمماليك القريب عبداً رقاً يرضع الذل كما يرضع المولود ثدي امه حيث كانوا يستخفون به لضعفه وان استخف بهم لجهلهم ويتسيطرون على ارواحه وان تسيطر على احوالهم الداخلية ويهضمون حقوقه ويندفعون الى خيانته وسلب ثروته سيرا وراء محبة الذات التي اشتهروا بها وبثوها بين جوانبه فوجدت منبتا لينا ازاء تلك المجريات القسرية ادت مع الاسف الى تفرق جامعته وتعددميوله وانفصام عروة اخائه التي ان اتخذتها الجامعة الوطنيةوالجنسية تحت ظلال الحرية برباط الرخاء فهي تحتاج الى زمان طويل لتمتينها وتقويتها خصوصا لان الظلم الذي تكبده وبقي بصورة محدودة الى عهد غير بعيد اوجد نوعا من حب الاثرة في نفوسه لا يمكن ان يتلاشى دفعة واحدة ولا ان تضعف جراثيمه وتموت الا بقوة ادواء الارتقاء وهذه لا تكون طفرة بل خطوة فخطوة حسب سنن الطبيعة والوجود .

وعلى هذا ارى انه لولا تلك العوامل القوية التي سردناها واوجدت فيه وفي كل الامة المصرية على مختلف عناصرها واديانها عاطفة حب الذات لعاش طول حياته محبا للجامعة القومية متآخيا كما كان عليه في

عهد الفراعنة والكهنة والالهة : وان انكر البعض ان هذه الدواعي ليست من العوامل القوية التي تدفعه الى التفرق والاختلاف فنجيبه ان البدو الوثنيين اكثر ارتباطاً ومودة فيما بينهم منه لانهم لم يجدوا من يفرق بينهم بل لم يجدوا مستعبدا يستعبدهم مثل هـذا الاستعباد ولا ظالما يظلمهم مثل هذا الظلم مع أن الفرق بينه وبينهم ظاهر واضح . هو حي متمدن متعلم وهم اموات متوحشون جهلاء فضلا عن أن له دينا قويما وشريعة الهية تعلمه الاخاء وحب الجامعة وتنزهه من محبة الذات دليلا لقوله تعالى حبوا بعضكم بعضاً وهؤلاء لا دين لهم ولا عقيدة وأن تدينوا بدين الهي ايا كان مسيحياً أو اسلامياً لا يفقهون من نواميسه شيئاً واوان فقهوا مزجوه غالبا بعوائد وعقائد وضعية تزيل الغرض المقصود من تعاليمه المهذبة للنفوس المرقية للعواطف. وبناء على هذه النظرية المحسوسة اعود فاقول أن المظالم والعبودية اوجدت في الشعب القبطي محبة الذات بلا مشاحة ولا جدال.

اما وقد ثبت بكل هذه الادلة والبراهين الجلية أن حب الذات تطرق الى نفوس هذا الشعب واختلط بعواطفه وامتزج بها من ضغط عوامل الظلم والشقاء والعبودية عليه حينما كان لا يجسر أن يرفع صوتا ولا أن يرد ظلامة ظالم او يوقف تيار اثيم جائر اسوة باخوانه الاقباط المسلمين فانا نثبت أيضاً أن القدرة التي نشلته من هاوية الضعف وجحيم العبودية الى نور الحياة والحرية محت في قسم كبير منه تلك

العاطفة الذاتية وربطته ارتباطا أن لم يكن محكما من تنازع مبادئ الاخاء لحب الذات المتمكن في بعض صدوره الى الساعة. فان الامال وطيده بزواله او بانحلاله انحلالا كليا يسفر عن شعور قومي عام . على أن بقاء جزء من تلك العاطفة الذاتية اوجد مجالا واسعاً لبعض الكتاب الذين اشتهروا بعداء الشرق والشرقيين وكذلك لبعض المتمصرين الذين طبعوا على بغض الذريات المسيحية للشعوب القديمة فرموه بالخداع والنفاق والجبن والخيانة واللاوطنية . وربما تصدق عليه الصفات الثلاث الاولى في الازمنة الغابرة يوم كان محصورا في تلك الدائرة المجوفة التي يملأها الظلم الذي يعلم النفوس النفاق ويملأ ها الاسترقاق الذي يعلمها الخداع والجبن كما هو مثبوت ومعروف عند الشعوب التي لم تزل مستعبدة الى الآن أو واقعة تحت فساد الاحكام وتوالى الفتن والمشاغبات سواء في المغرب الاقصى أو الشرق الادنى اما اليوم فلن تصدق عليه قطعياً ليس لانه خرج من تلك الدائرة واستنشق نسيم الحرية وعرف معنى الحياة بل لانه تساوى في اكثر المرافق التي تمو في بلاده واصبحت له السلطة على اموره واحواله الداخلية والملية فضلا عن انه محمي ومزاد عنه بفضل النظامات العادلة وتنفيذها المحكم الذي يرفع وحده النفوس عن كل ما يدنيها الى مهاوي الميول الشائنة . بقيت الصفتان الاخيرتان وهما الخيانة واللا وطنية ولا وجود لهما الا في مخيلة الواهمين حيث لم يشبتهما أي عمل من اعماله الطبيعية

أو الاخلاقية في زمن ما . وبعيد أن يكون شعب مصر القديم خائنا ولا وطنيا بعد أن دعته شعوب الارض التي تولت قياده بانه الشعب الوديع الامين المخلص لامته وبلاده حيث كان يتولى امور ماليتها بنزاهة وامانة كما كان يتولى اسرار عروشها حتى في ازمنة الاضطهادات باخلاص وولاء وحيث كان عضد البلاد الوحيد في الظروف المملوءة بالمشاكل والقلاقل وراشدها وطائعها وقت السكون والسلام مما يدل على سقط اراء اولئك الكتبة في كل ما كتبوه عنه ودونوه بل قد يظهر لنا من تلك الكتابات انهم حانقون عليه حنقا شديدا لاسباب كثيرة نذكر منها محاولة البعض اتخاذه كما اتخذت غيره سلاحا للعمل في بلاده لسلب خيراتها واجتناء ثمرات اتعاب ابنائها ومنها محاولة البعض الاخر وهو الفريق المتمصر ان يجعله متكئاً يتكئ عليه لاعادة المظالم الماضية واخماد روح الحرية التي ترفرف فوق وطنه فلم يروا منه الا طرفا متغافلا واذنا مسدودة واخذ ينافسهم تارة في المرافق الحيوية بين اقتصاديه وتجارية وزراعية وصناعية ويقاومهم تارة اخرى بكل ما فيه من الغيرة والانفة والوطنية حتى عطل اعمالهم ومشروعاتهم ووقف حجر عثرة في سبيل امانيهم مرشدا في الوقت نفسه الامة الى ميولهم الشريرة التي يرمون اليها لان الوطنية وحب الجامعة الوطنية من مبادئ النفوس المخلصة لبلادها اخلاصاً يمثله هذا الشعب القديم من قديم الازل بكل صوره عدا عن جهاده المتواصل في تعليم الامة معني الحياة

حتى لا تعرف مذهبا غير لغتها ولا جامعة غير وطنها ولا شريعة غير جنسيتها وكل هذا اكسبه محبة قومه وعطف مواطنيه العقلاء فاتخذوه عوناً لهم ونصيراً في كل اعمالهم وسل التاريخ فهو عنه ينبئك لانه اعدل شاهد واصدق دليل .

ولعل الهوس الذي اصاب هؤلاء الكتاب الذين اتخذوا مسبة هذا الشعب مضغة في افواههم كان كما قلنا من نتائج المنافسات المضرة التي يرونها قائمة بين افراده وتقاطعهم في كل عمل وتباعدهم عن العاطفة الاخوية وجامعتها وان تكن هذه النتائج لا تثبت في حد ذاتها شيئاً مما يوجهونه نحوه من الصفات المنحطة فاني اقول ايضاً انه لا يليق بالشعب القدير الذي قال عنه كليبير قوته في عقله وعمله وجده ان يجعل بذور التباغض تمو بين جنبيه لانها سيئة عليه لا يحصد منها الا الشر ولا يستغل منها الا الاساءة . اذن يجب ان يوجه عنايته الى تمية عاطفة الاخاء بين افراده بالمحبة والثقة والمعاونة المتبادلة والتناصر الاخوي العام الذي يضحى في سبيله المال والحياة لمنفعة المجموع وتمدينه لتسقط العاطفة الذاتية الباقية في بعض صدوره من تلقاء ذاتها ويعود الى شريعته القائلة «حبوا بعضكم بعضاً» وعندها يجد الراحة والسعادة والعظمة وكل ما يتلوها من مظاهر الكمال الانساني وايات المدنية الحديثة .

واذا كان الاخاء يسقط محبة الذات ويجعل المجموع واحدا فانه لا

سقط تعدد المشارب والميول التي هي أشد وطأة على انحطاط الشعوب
ن كل شيء اخر. ولكنها تسقط وتندثر تحت قوة توحيد التعليم وانتشار
دين انتشاراً يناسب روح العصر . وحيث ان الوقت موافق الان
عمل بحزم ودراية فيجب ان لا يدع تلك الفرصة تذهب منه لتنتظم
حواله وتقوى على التصرف في الحياة الدنيا بما يزيدها بسطة وراحة .
لعلي لا احتاج الى سرد بيانات اخرى اواظهار العجز في الوصول الى
هذا المرتقى المرجو طالما كنا نراه مجاهداً لتقوية كيانه وتنمية مرافقه .
قد يزيدنا طمعاً بنجاحه تاريخه القديم واحاديث ابائه واجداده المحفوظة
عنده في الكتب وفي مقبرة التاريخ والامة التي استطاعت ان تخرج من العدم
عية تحمل حسناتها الى الذرية لهي امة ما انطفأت شعلة الحياة في صدور بنيها .

توحيد التعليم



ان السبب الاكبر الذي لاشى عنصر تسين وهوى بالصين وقوى بقية العناصر الاهلية عليه هو أن ابناءه انكبوا على التعليم في المدارس الاجنبية عوضاً عن ان يقتصروا كاجدادهم على مدارسهم الاهلية التي هي وحدها جديرة بتعليمهم وتقويم وحدتهم .

(كتاب اصول النواميس والشرائع لمونتسكيو)

ذا كان للحكومات تأثير عظيم في اخلاق الشعوب وعاداتها

فللتهذيب والتعليم تأثير اعظم واجل في تلك الاخلاق والعادات فتتغير وتتكيف بحسب هذا التأثير وقوته لان كيان الشعب بتعليمه وتعليمه بتهذيبه وتهذيبه بحيويته وحيويته باتحاده. ولا يتوحد شعب وتتحد ميوله ومشاربه ما لم يتوحد التعليم الاولي في مدارسه وتكون هذه المدارس كلها على نسق واحد واسلوب واحد تهيء افراده الى الكمال وتدفع بهم الى اوج العظمة والمجد .

واذا شكا بعض المطالبين بالاصلاح من انقسام الشعب القبطي وتحزب الجماعات فيه تحزبا يشقيه ويتعسه اذ لا حياة صحيحة في صدور بنيه . ولا مبدأ عالياً يقيدهم . ولا جامعة قوية تضمهم . ولا اتحادا متينا يقربهم .فكله نتيجة تلك التعاليم الاولية التي تلقونها في مدارس اجنبية مهما بلغت من الاقتدار والرقى في التعليم والتهذيب فهي معدمة للحياة القومية ولنواميس الاجتماع اعداماً لا يكون من وراءه الا التلاشي والفناء .

واني اذا ما اوضحت هذا التمهيد فلكي ابين بمثال حسي حالتنا الحاضره وما تعتورها من امارات الفتور والانحطاط التي تقوي فينا الميل الى العاطفة الذاتية اكثر مما تهيئنا الى الجامعة القومية .ومن اليقين انه مع رقي مركزنا العلمي والادبي عن بقية العناصر الوطنية لبقاء قوات ذكائنا واقدامنا حافظة لنفس الخواص الطبيعية التي تسلسلت الينا من دماء اجدادنا وشعورهم لعدم امتزاجنا بعناصر اخرى فان حالتنا تدل

على عدم صلاحية للحياة القومية ولا على تأهيل لادارة شؤوننا بانفسنا لاقتصار تربيتنا على التعليم الذاتي والمختلف لا على التعليم الاجتماعي والموحد حتى لو زعمنا ان خروج الامم من ربقة الجهل الى نور العلم يقتضي التعليم ايا كان مكانه لعدنا الى نفس النظرية الاولى من حيلولة هذا التعليم في نمو الجامعة القومية بالسرعة التي تقتضيها الحالة الحيوية في البلاد الان لانه يستلزم التباطئ. واعني بهذا التباطئ اضطرار المجموع الى التقلب على صور شتى واشكال عديدة قبل ان يرسخ على قاعدة ما ويتخذها سبيلا لوحدته. في حين ان توحيد التعليم خصوصاً لامة ذات اخلاق وعادات وعقائد واحدة يجمع بسرعة مدهشة افرادها تحت ظلال قومية واحدة لا تحتاج الى زمن طويل لرسوخها وهي راسخة باصولها وفروعها على قاعدة متينة. وبديهي ان الشعب الذي يحصل على المعارف الواحدة تتربى فيه المدارك وتترقى على وتيرة واحدة تجعله يشعر من نفسه بدافع قوي يحمله على استعمال شؤونه في الوجه النافع لامته أي على الانضمام لبعضه بعضاً انضماما يجعل النجاح شاملا جزئياته وكلياته وكل فروع مرافقه وهذا ما يعبرون عنه بالجامعة القومية. اما ما يذهبون اليه من أن التعليم الذاتي او المختلف هو خير انواع الاصلاح في المجموع لبقاء الانسب من خواصه العالية بعد احتكاك الافكار والمبادئ المتناقضه فهو مخالف للحقيقة لان طلب اصلاح المجموع بمعناه الكامل ما وجد الا لنقائص هذا التعليم الذي

يفقد فيه الشعب حيثيته ومكانته من تشتت ميوله واتجاهات قلوبه. ولا سبيل الى جميع الشتيت بعد رسوخه والعقيدة باستحسانه خصوصا في امة هي اكثر الامم جنوحاً الى العاطفة الذاتيه والى ما من شأنه تعزيز الانانية التي استحكمت في صدورها وكادت ان تصبح فطرة فيها أو شريعة تسير على سننها.

هذه هي النتيجة المنطقية للمقارنة بين التعليمين الذاتي والموحد. وقد تكون النتيجة الحسية اشد وضوحاً في سياق البحث . ولعمري لئن اهاب القرن الماضي لامتنا الحرية التى دفعتها الى الجهاد لترقية مداركها حتى تنفست من كربات الجهل وخرجت الى الحياة والنور فما اولاها اليوم بان تنظر في هل عاد عليها هذا الجهاد بالخير والنجاح بالضرورة الجواب بالسلب لان الاكثرية افادت الامم التي اختلفت الى مدارسها وتهذبت على تهذيبها وكبرت على مبادئها واخلاقها وعاداتها حتى عرضتها لاشد مضانك الحياة الاجتماعية التي تتصور لنا باجلي صورها في بيوتها ومعابدها وعلى الاقل صار لها حكم وتأثير في تلك الحياة بصيرورة عدد كبير من ابنائها يعيشون مع عائلاتهم عيشاً كله نكد وتنغيص ويعيبون عليها نظام معيشتها وربما كان خير نظام موافق لحالة الامة والبلاد. ذلك فضلا عن اشتداد الخصام بين الاشقاء الذين فرقتهم يد التعليم في المبادىء والميول وفضلا عن الطوارىء التي يريدون ادخالها على المعتقدات الدينية وفي كثير من

الامور التعبدية الفعلية الى اخر ما هنالك من ضروب الاختلافات والمتاعب التي صيرت حياتنا سلسلة نزاع مستمر لا تشفي غليلا ولا تتعدى حد المناقشات والجدال . ولا اظن ان فينا من ليس في نفسه اشكال عظيم لمعرفة افضل الخطط واقوم المبادىء التي يجب ان يسير عليها لتعدد صورها في مجموعه واختلاطها في مخيلته . وقد جرب جماعة المصلحين الذين اظهرهم الى عالم الوجود رجلنا العظيم المغفور له بطرس غالي باشا طرقاً متعددة في ازمنة مختلفة للتوفيق بين المجاري الفكرية الكثيرة التي اوجدها التعليم الذاتي والمختلف حتى يكونوا رأيا مليا عاما يكون ملائما للظروف والاحوال فلم تنجح مع الاسف طريقة واحدة اذ النجاح لا يدرك بين فئات متفاوتة في الاخلاق والصفات متباينة في المبادىء والعادات وناهيك بالفروق العظيمه بين المتعلمين في مدارس الفرير واليسوعيين والانكليز والاميركان وغيرها وتخلقهم باخلاق تلك الامم التي الحقهم بها العلم وسرت بينهم عاداتها

ولو انتقلنا الى القرون القديمة وحولنا النظر الى الشعب حين اشرف على الانحطاط لرأيناه في أتم حالات الوحدة بالرغم عن الارهاق الذي كان يحول دون تآخيه والانانية التي كان واقعاً تحت سيطرتها . ذلك لان الاسلاف كانوا يتعلمون في امكنة واحدة على نسق واحد ويهذبهم مهذبون من اخوانهم تهذيباً دفعهم بقوة الاختلاط والمعاشرة الى محبة امتهم ووطنهم والى المحافظة على عوائدهم الاصلية وعقائدهم الصحيحة

وهي صفات وجيهة ان لم يستطع الاخلاف صيانتها فلانهم انكبوا على التعليم في المدارس الاجنبية حتى مزقتهم واضعفت رابطتهم وذهبت بجوهر قوميتهم. ونظرة واحدة في قياس حالتنا الحاضرة بحالة العناصر المحيطة بنا التي تتعلم علومها الاولية في مدارس اهلية واحدة تكفي للاقتناع بان حركتها الاصلاحية العامة أرقى بكثير من حركتنا وقوميتها كذلك امتن واكمل ولو مع بقاء اكثريتها في الجهالة . ولا غرابة في هذا فانا لو فحصنا التاريخ عن جوهر الحوادث والوقائع الذي جعل العيش والرفاهية في امم اقل من سواها علما وادبا ونشاطا لاتقدنا الى نفس تلك النتيجة وهي التعليم الاولي الموحد لان فضيلته استبقاء نفس الخواص الطبيعية التي يترتب عليها حماية العادات والعقائد من الطوارىء الخارجية وانهاض الشعور القومي بانكار الذات في سبيل منفعة الامة اي بعناية المتمولين في مساعدة العاملين وتنشيطهم . وجهاد العاملين في منفعة امتهم بلا قيد ولا جزاء . وأراني وصلت الى نقطة مهمة وهامة في آن واحد وهي انكار الذات وتلك معدومة بيننا لاسباب كثيرة اهمها اربعة وهي

اولاً — جهل الوالدين بتعليم اولادهم تعليما يؤهلهم ان يكونوا رجالا يعملون لخير امتهم

وثانياً — تعجيز نشاط العاملين بتثبيط عزائمهم وجهادهم تارة بالانتقاد المر المبني على الحسد المضر وتارة بعرقلة نجاحهم ووضع العثرات في سبيلهم

وثالثاً ــ انحراف السراة عن مساعدة المشروعات الخيرية والعامة.

ورابعاً ــ اعتماد الامة على الاموال الموقوفة في اصلاح احوالها .

فاما السبب الاول فابعد من ان يتغير الى الطريقة المرجوة ما لم تتغير تربية الامة الى تربية راقية في الحياتين العلمية والعملية. ولا سبيل الى هذا التغيير الان للنقائص التي تكتنف مدارسنا والصعوبات التي تعترض سيرنا الا بثلاثة امور جوهرية الاول ان ننزع حب التوظف من نفوس الناشئة لتعتاد على العمل باستقلال حتى تتربى على الحرية لا على الاسر وحتى تتعلم بتفهم وتبصر لا بتصفح اوراق الكتب وحفظها عن ظهر قلب لتنمو فيها عاطفة الجهاد التي تؤدي الى تكبير النفوس واشعارها بالواجبات عليها نحو امتها ووطنها. والامر الثاني ان نحرض حملة الشهادات الابتدائية الذين لا يستطيعون اتمام علومهم اما لفقر او لعوارض اخرى على تعليم الصنائع والفنون حتى ينفعوا أنفسهم وينفعوا أمتهم لان حياة العامل اهنأ من حياة الموظف الصغير ومن مستلزمات الهناء الشعور بحاجيات الغير المؤدي الى الشعور العام. ولدينا ادلة كثيرة على ان اجرة العامل الشهرية اضعاف مايتناوله الموظف الصغير الذي نراه فوق اسره وتقيده بنظامات على الغالب جائرة يعيش منغص العيش. ويوقعه الراتب الضئيل اما في التقتير واما في الاستدانة وكلاهما من اكبر عوامل الشقاء. وناهيك بمن تتأصل في نفسه ضروب المتاعب والاشجان التي لا تبقي لديه وقتاً للنظر في تحسين احواله والخروج من ضيقه فكيف باحوال

امته وهي تحتاج الى تضحية اوقات واموال والامر الثالث ان يجعل متمولونا الغرض الاولي من تعليم ابنائهم تهيئتهم لان يكونوا اختصاصيين في العلوم الزراعية والكيماوية والاقتصادية والتجارية حتى يزيدوا غلات الاراضي والثروة من جهة وحتى يفسحوا لابناء امتهم الاعمال المستقلة التي تزيدهم بسطاً في العيش ورغداً في الحياة واذا مااتبعنا هذا السبيل القويم انهالت علينا الوظائف من جهة بلا بحث ولا عناء وتالفت جامعتنا القومية بلا مشقة ولا تعب. وعلى تغيير السبب المتقدم بامورهِ الثلاثة يتعين تغيير بقية الاسباب . ولا فائدة من البحث في اصولها ونتائجها اذ كلها من قبيل المتعارف بين الخاص والعام انما يحسن بي ان اتكلم عن حالة التعليم في المدارس الاجنبية والمدارس الاهلية بكلام موجز لاصل منه الى النتيجة التي اتوخاها وهي ايجاد طريقة لتوحيد التعليم فاقول ان الفريق الذي تعلم في المدارس الاجنبية شب على ميول جديدة تخالف طباعنا واخلاقنا وعاداتنا لا من حيثية رقيها او انحطاطها بل من حيثية تطورها بصورة لا تلائم حياتنا الحاضرة ولا المستقبلة وهذا مااشرب نفوس هذا الفريق روح الكبرياء ودفعه ان ينظر الى الفرق الاخرى بعين الاستخفاف والاحتقار ويستنكف من ان يجتمع عليهم في بعض امهات المسائل العامة او ان يعد من مجموعهم كانه خليقة جديدة جاءت خيراً من الخلائق . ولا شك في انه لولا تلك المدارس وتسلطها على اخلاقه وعواطفه قبل ان تختمر بين جوانحه وتصرفها فيها

وفقا لاهوائها وغاياتها بلا معارض ولا منازع لانحطاط التربية العائلية كما سيجيء لما انصرفت رغباته عن القيام بواجباته نحو امته وبلاده ولما نسي حقوقه الشرعية بينهم ولما تعالى متكلنزا او متفرنسا او متمركنا واني لست في حاجة بعد ذلك الى ايراد ادلة جديدة على نتائج هذه التعاليم وقد اوضحت تماما في مبدأ البحث ماهيتها وضروب النزعات التي تتولد منها والانحطاط الهيئوي الذي يترتب عليها.

أما الفريق الذي تعلم علومه الاولية في مدارسنا الاميرية والاهلية فقد شب على نفس طباعنا واخلاقنا وعاداتنا وعوائدنا فعرف واجباته نحو امته ووطنه وادرك كيف يعامل اخوانه وباي الطرق يستميلهم اليه لسابقة الالفه والاختلاط من جهة والاخذ والعطاء من جهة اخرى . وماوجدت هذه العومل بين امة من الامم الا وكانت من دواعي الرابطة واحياء الجامعة القومية بين افرادها . واذاما ثبت ان المدارس الاهلية هي ادعى لانجاح مقاصد الوطنيين من غيرها فنحن نؤكد ايضا ان هذا النجاح المكفول الماس بحياة الامة جاء من طريق تعليم ناشئتها تاريخ بلادها وعوائدها تعليما وافيا بالغرض المرجو من التربية اي الغرض الذي لا يتحدى غير تقرير المبادىء التي توافق المصلحة العامة واتحاد ميولها في سبيل واحد اي نفس الجامعة التي ننشدها من توحيد التعليم .

انتهينا الان من سرد طرق التعليم وانتهينا كذلك من تشخيص تقلبات التي تتناول الاقباط ولم تزل تتناولهم لتفرقهم في التعليم وانتهينا

ايضاً من وصف فئاتهم التي تعارفت فتعادت واقوامهم التي تآخت فتجافت الى حد العداء وابادة بعضها بعضاً بنسخ مدنية فريق منها مدنية فريق اخر او بمحو عوائده وعقائده حتى صاروا كما كانت بابل في عصر البداوة حينما بلبل الرحمن السنة اهاليها فباتوا لا يفقهون لغة بعضهم بعضاً وتفرقوا في عرض الارض يطلبون امما واقواما. وعلى هذا القياس قل عن كل امة لا تلتفت الى مسألة اجتماعها وتوحيد تعليمها وتقليدها الامم الاخرى تقليداً اعمى يذهب بقوميتها ويحصرها ضمن دائرة ضيقة تزيد ويلات حياتها وتجعل عيشها الرغيد شقاء وتنغيصاً

بيد ان هذه الحالة لا تحول دون اعترافنا من وجود فريق حي يبنت وهو الفريق المتخرج على الغالب من مدارسنا والاكثر فطنة وذكاء يسعى للمحافظة على كيان الامة وصيانة حيويتها لشعوره ان التنازع الشديد في البلاد يقتضي وجود تلك الجامعة القومية . ولئن تفاءل هذا الفريق خيراً بظهور المناصرة الوقتية الحاضرة وعدها من بوادر الارتباط والوحدة فاني لا اعدها في شيء من ذلك الا كما اعد تدين العواجيز صادراً عن عزيمة ثابتة وارادة قوية . ولا يكبرن هذا الرأي على احد لأن المناصرة الوقتية يصح أن تتحقق فتصبح رابطة ويصح ان تنفرط فتصبح في خبر كان .

هذا من حيثية المجموع اما من حيثية الافراد فقد نبغ كثيرون من متشرعين الى اختصاصيين في العلوم والفنون والاداب واللغات

المتقدمة ويمكنك ان تلقي بنظرة حولك فتجد النوابغ من اخواننا لا ينفكون عن التنافس لمنفع امتهم وبلادهم تارة بالمؤلفات الثمينة وتارة بالمشروعات الحيوية وتارة بالمحاضرات العلمية والادبية واخرى بالاصلاحات المتنوعة التي تساعد على نمو الآداب والثروة والصنائع والفنون فاين تلك النفثة الحية من ذلك الجمود المخيم على نوابغنا الذين ينزوون بين جدران منازلهم وعلى مقاعد مكاتبهم . بل اين ذلك الشعور القومي من ذلك الشعور الذاتي الذي دفعنا الى جعل الحياة آلة للكسب والرزق . واني وان كنت ميالا لنشر احصائية عن اعمال نوابغنا ونوابغهم ولكني تركت نشر ذلك للموءرخين الذين يستنبطون تواريخ الامم من موءلفاتها ومشروعاتها واعمالها ويتخذون منها ميزانا يقيسون به حياتها ليحكموا علينا بالموت والجمود قبل ان نحكم على انفسنا بالحياة والنهوض

على انه بصرف النظر عن تلك النتائج اري انه لا يجب ان يهولنا تفاقم الضعف والفتور في جامعتنا القومية ولا الجمود والموت في نوابغنا وافاضلنا بل ينبغي ان نسترجع نشأتنا ووحدتنا بتعليم ناشئتنا العلوم الاولية في مدارسنا الوطنية على مختلف انواعها حتى نكون في صدورهم قبل ان نقذف بهم في ميدان الحياتين الاستقلالية والعملية مبادئ واحدة راسخة لا تزعزعها المبادئ والميول الغريبة مهما كانت قوتها لنبرهن للملأ اننا امة حية راقية الشعور والاحساس شريفة الاميال والمقاصد عارفة للبلاد حقوقها وللوطن واجباته .

المدارس والحياة العلمية والعملية

٤

اذا كان رقينا الحديث لم يزل في طور الصبا واول مراتب الارتقاء الزمني فهذا لا ينزع شيئا من انشراحنا ولا من ابتهاج صدورنا حينما نتأمل في حالتنا الحاضرة ونراها احسن بما لا يقاس ممن تقدمونا وان جاز علينا التدلي والانحطاط ممن نعيش في وسطهم

على اني وان اعتنيت كثيراً في الفصل السابق وشرحت طرق التعليم وضرورة توحيدها بوجه عام حتى لا تفنى شخصية الامة فاني اقصر بحثي الان على مدارسنا الحاضرة ووصف عللها وصفا كاملا مستفيضا كمن يصور صورة تعرف بمجرد النظر اليها انها مطابقة للاصل والواقع ولا بد لي قبل الشروع في هذا البحث ان ابدأ بتمهيد بسيط اذكر فيه عدد الذين يتعلمون بيننا بالنسبة لعدد الذين يتعلمون بين اخواننا واهمية النسب المطردة بين العنصرين ونتائج تأثيرها في نظام الحياتين الحاضرة والمستقبلة وتنازع البقاء الشامل لكل منهما حتى يمكننا معرفة ما سنستقر عليه وما اذا كانت تعاليمنا الحاضرة منتجة وذات انتفاع ومدارسنا اهلا لتعليمنا ام تحتاج الى تحوطات فعالة لسد الثلمات الحاصلة في دوائرها . وكل هذه مباحث وجيهة يجب الالتفات اليها طالما كانت حياة الامم تتوقف على حالة تعليمها وتقدمها على تقدم هذا التعليم ورقيه بين ابنائها .

(١) عدد القارئين والمتعلمين والاميين

اثبتت الاحصائيات ان عدد المتعلمين بيننا اكثر بما لا يقاس بين اخواننا باعتبار النسب العددية واقل بما لا يقاس باعتبار النسب بين عدد المتعلمين كما يستدل من الجدول الرسمي الآتي الذي استخرجناه من مصلحة عموم الاحصاء

السن	عدد القارئين		عدد الاميين	
	مسلمون	أقباط	مسلمون	أقباط
٠ — ٤	٥٨	٣٢	٨٠٣٥٩٩	٥٢٩٩٥
٥ — ٩	٢٥٨٤٩	٣٨٤٤	٧١١٦٦٤	٤٦٠٥٢
١٠ — ١٤	٦٤١٩١	١٠٤٨٧	٥٥٤٩٧٥	٣٢٤٥٢
١٥ — ١٩	٥٢٤٨٢	٨٥٧٨	٤٣١٤٦٤	٢٥٤٥٥
٢٠ فما فوق	٢٥٩٥١٠	٤٤٣١٥	٢٢٤١٣٢٢	١٣٢٥٨٦
المجموع	٤٠٢٠٩٠	٦٧٢٥٦	٤٧٤٣٠٢٤	٢٨٩٥٤١

أما عدد الذين يتعلمون في المدارس من الاقباط فقد بلغو ٢٨٩٦٢ يقابلهم ٥٤١٨٦ من اخوانهم . وبين هذا العدد ٢١١٨٢ في المدارس التحضيرية والابتدائية يقابلهم ٢٧٧٣١ والف في المدارس الثانوية يقابلهم ١٩٠٤ و٢٤٣ في المدارس العليا يقابلهم ١٠٢٥ ومن هوءلاء الاخيرين ٩٢ من ٣٥٠ في مدرسة

الحقوق و٧٣ من ١٩٣ في الطب و٢٣ من مائة في المهندسخانة و١٨ من ١٣٦ في الزراعة و٨ من ٣٧ في الطب البيطري و٢٨ من ٢٠٩ في مدارس المعلمين وذلك عدا الذين يتعلمون في مدارس الصنائع وسنفرد لهم فصلا خاصا وعدا الذين في مدرستي الحربية وفيها ١٠ من ١٠٠ والبوليس وفيها ١٧ من ٢٣٧ وهؤلاء لا دخل لهم في بحثنا ولا في حسابنا .

واني اورد هنا جدولا وضعته ببيان عدد المتعلمين من العنصرين في المدارس الاعدادية والعليا ونسب الزيادة بينهما في خلال الاربع السنوات الماضية وفي خلال العشر السنوات المقبلة .

سنة	عدد المتعلمين		المدارس العالية	
	مسلمون	أقباط	مسلمون	أقباط
١٩٠٦	٤٤٠٧٢	٢١٦٧٥	٥٢٣	١٩١
١٩١٠	٥٤١٨٦	٢٨٩٦٢	١٠٢٥	٢٤٣
الزيادة في خلال السنوات الاربع	١٠١١٤	٧٢٧٧	٥٠٢	٥٢
١٩٢٠	٧٩٤٧١	٤٧١٥٤	٢٢٨٠	٢٧٣
الزيادة في خلال العشر سنوات	٢٥٢٧٠	١٨١٩٢	١٢٥٥	١٣٠

والامر الاول الذي يستفاد من هذا البيان الاجمالي انه يوجد في المدارس ٥٠ في المائة من الواحد على كل مائة مسلم باعتبار عدد المسلمين

١٠٢٦٩٤٤٥ بينما يوجد ٤ من الاقباط على كل مائة قبطي باعتبار عدد الاقباط ٧٠٦٣٢٢ اي ان نسبة المتعلمين من الاقباط ثمانية اضعاف نسبة اخوانهم وتعادل نحو النصف تقريباً بالنسبة لمجموع المتعلمين . واذا قارنا نسبة الزيادة بين العنصرين في خلال الاربع سنوات الاخيرة باعتبار ذات الزيادة المتواصلة بين عدد المتعلمين لعادلت نسبة الاقباط خمسة اسباع عدد المتعلمين وبفرض استمرار حصول الزيادة بين المتعلمين على النسبة المتقدمة نرى حالا ان عدد المتعلمين منا سيصبح بعد عشر سنوات اي في سنة ١٩٢٠ خمسة اتساع مجموع المتعلمين وهنا يجب الالتفات الى ان عدد المتعلمين من اخواننا اخذ في النمو والازدياد كلما تخطو رقاب الاعوام وسيكون من شأنه بالرغم عن عدم توقف سير الزيادة المطردة بيننا تقليل نسبتنا الى ما هو دون النصف . وهذا لو حصل لاخل بسير الموازنة الطبيعية الحاضرة واستدعي من باب الحيطة ان ندأب من الآن على ترقية التعليم وجعله الزامياً ومجانياً في مدارسنا لتبقى نسبتنا حافظة دواما لمكانتها .

(٢) التعليم العالي

والامر الثاني الذي يسترعي الانظار من هذا البيان هو احصائية المتعلمين في المدارس العالية فانها تدل من القاء اول نظرة عليها ان نسبتنا اقل بكثير من نسبة اخواننا بل آخذة ايضاً في التناقص من سنة الي اخرى . فانها بعد ان كانت تعادل في سنة ١٩٠٦ نحو الثلث

تناقصت في هذا العام الى جزء من عشرة اجزاء من مجموع المتعلمين وستعادل في سنة ١٩٢٠ على هذا القياس جزءاً من١٦ جزءا . وهـذا التقدير التقريبي الذي لا يتناول طبعاً الستمائة طالب الذين يتعلمون من اخواننا في كليات اوربا يدل على ان افتقارنا الى التعليم العالي اشدّ من افتقـارنا الى التعليم الاعـدادي بكثـير ويؤيد رأي الذين ذهبوا الى ان عنصرنا لا يزال بعيداً عن بلوغ المنزلة التي يستطيع بها المنافسة مع اخواننا او الدخول معهـم مداخل التنازع والتسابق في ميدان الحياة العملية حفظاً للتكافؤ واستبقاء للوجود الذاتي .

ومع ذلك اترانا التفتنا حوالينا ونظرنا الى هذه الحركة العلميـة كلا! انا لم نلتفت ولكننا شعرنا شعوراً ذاتياً بعدم ضمانة مستقبلنا امام تلك النهضة العالية التي اخذت تتسع وتنتشر في صفوف اخواننا حتى اوجدت جيلا راقيا منهـم بعث في مجموعهم روح الاقدام والنشاط بحيث حول ميوله القديمة التي كانت معلقة على التعليم في المعاهد الصغيره الى ضرورة التعليم في المدارس العالية والاخذ بنماذج الغربيين في العلم المنتج وبذلك انتقل بمهارة فائقة من حياة مجردة عن معارف الاجيال الحديثة الى حياة علمية راقية ترمي الى نيل هذه المعـارف للوصول الى المدنية الصحيحة . ولا حاجة بي الى ذكر ما آل وسيؤول اليه امرنا قبل وبعد هذه الحركة العظيمة انما غاية ما يمكن ذكره هو ان نستبدل السكون بالحركة والقعود بالسعي المتواصل لكي نسير واياهم جنبا لجنب

في انجاح البلاد واسعاد العباد ولكي لا يتفوق عددهم على عددنا لا من حيثية النسبة العددية بل من حيثية عدد المتعلمين انفسهم لانه من الخطأ في القياس ان نتخذ النسبة العددية دليلا على التقدم او التأخر طالما لم نكن ولن نكون امام عنصر واحد في استغلال خيرات البلاد بل امام عدة عناصر وابناء امم شتى ينافسوننا في كل مرافقنا وحيويتنا منافسة شديدة لا تحتاج الى ادلة او براهين لاجلاء مظاهرها .

ولقد يحسن بنا والحالة هذه ان نتساءل أو نسأل انفسنا ما هي النتيجة اذا استمر اخواننا يعززون قوميتهم بالتعاليم العالية وبتخريج الاختصاصيين في كل علم وفن ونحن ازاؤهم نتخذ النسب العددية الوهمية لبيان مركزنا العلمي والادبي . لا نتيجة سوى ان نضمحل ونفقد وجودنا ونسقط في الهاوية التي اعدت لامثالنا من الخاملين . وبديهي انه مهما وجدنا الان من الصعوبات في ان نلي عملا من الاعمال الاهلية او الاميرية فانه لاقل بكثير مما سنجده غداً حيث تكون الاعمال خاصة بذوي العقول العالية واهل الادراك الصحيح ... ويمكننا ان نعتبر ذلك في مصر القديمة فانه لما اراد الخلفاء ونوابهم على البلاد ان يجزءوا مقاليد الاعمال بين الوطنيين على السواء لم يستطع اخواننا ان يقوموا بتأدية ما عهد اليهم منها لما انه لم يكن لديهم من القوى الاستعدادية سوى بقية طفيفة . وعوضاً عن ان يستيقظوا من رقدتهم بعد ان قبضنا على زمام القوات الاجرائيـة والتنفيذية كانت تتناقص فيهم الهمة عن ذي قبل لما

استولى عليهم من الحيرة والانذهال في مجارات تقدمنا الفعلي ولما ان جميع ميولهم كانت موجهة الى العمل ولم توجه واحدة منها الى العلم.

واني لا اقول هذا القول من قبيل الغرض او الاحتمال ولكن من قبيل الحقيقة التي لايختلف فيها واحد من ذوي النظر البعيد والخبرة الناضجة وقد يكون من المناسب ان نذكر هنا تلك الضجة الهائلة التي أقامتها الصحف حول فريق من السراة اندفع من تلقاء نفسه لتعضيد العلم العالي بارسال بعثة علمية سنوية من طلابنا الى أوروبا توصلا الى تخريج فريق من الاختصاصيين والنوابغ لنذكر أيضاً انه قد مرت الشهور ولم ينفذوا مشروعهم واوشكت السنة المكتبية ان تنتهي قبل ان يظهروا دليلا واحدا على انهم اسبق الى العمل منهم الى القول كأن حسبهم من كل مشروع يبتكرونه أن تهلل لهم الاقلام وان تفسح لهم الصحف مجالا للمدح والاطراء فتغنيهم عن العمل وعن ارضاء ضمائرهم بخدمة أمتهم والوفاء بما هم به واعدون.

وليس هذا المشروع هو اول مشروع حيوي دفن قبل أن يولد فقد سبقته مشروعات أخرى الى عالم الانحلال اذا اعدنا عليها النظر من هزت عواطفنا وهيجت ماضي شجوننا وأثبتت علينا اننا كلنا أقوال في أقوال وعجيب اذا كانت الاقوال التي لاتشملها الاعمال هي التي اوقفت تقدمنا وحالت دون امانينا الى الآن فكيف تكون هي الموصلة الى هذا النهوض ألا يكون تفاؤنا على هذا الجمود انما هو استبقاء لعلة انحطاطنا وخمولنا

هو كذلك وسيكون حتى نلمس رد الفعل الذي لا بد وان يتلو الجمود أمام الحركة وعندها لا تنفع يقظة ولا يفيد انتباه .

على ان وفاء أولئك السراة بوعدهم فيما لو وفوا لا يكفي وحده لنهوضنا طالما كانت رغبات طلابنا منصرفة الى اتخاذ التعليم وسيلة للنجاح في الامتحانات النهائية حتى يحصلوا على مايسمونها « بالدبلومات » ويلوا عملا من أعمال الحكومة أو يشتغلوا في الطب أو المحاماة اشتغالا سطحيا مجرداً عن كل استنتاج علمي أو ملاحظة عملية في تكييف كنه العمل الذي هم فيه يشتغلون . وبناء على هذه القاعدة التي ساروا على مبادئها انقطع وجود النوابغ والعلماء بيننا وانقطع حبل التأليف والكتابة وضاعت الروح الادبية وقتل العلم ومحبة العلم حتى لم نجد نهضة صحيحة وبتنا نخشى السقوط في هاوية الجهل والغباوة بعد ان سقطنا في هاوية الجمود العقلي من افراطنا الكلي في اجهاد مواهبنا العقلية على حفظ العلوم والفنون قبل ان نصل الى ثمرتها وقبل ان نتحقق من مشتملاتها تحقيقاً علمياً وعملياً . ويمكننا ان نجتزئ من البراهين التي اجملناها بالمقارنة بين عدد النابغين والاختصاصيين في العلوم والفنون منا ومن اخواننا لتظهر لنا الفروق العظيمة بين فئة متعلمة بالمعنى الصحيح وفئة ليس لديها مايدل على تعليمها غير اللقب اللاصق بها عن غير استحقاق صحيح ان بيننا كثيرين من المتشرعين والانجاب الاغرار في القضاء والمحاماة ولكني الحق اقول لكم اننا لم نبلغ شأو اخواننا في العلوم

الهندسية والطبية والفنية ولم ننتج من امثال نوابغهم المشتغلين في الادبيات على انواعها . وقد لا اقصد بقولي هذا ان انقص من قدر حملة الشهادات العالية بيننا ولا ازعم ان الفريق الموجود من نوعهم بين اخواننا كله من النابغين والاختصاصيين وانما قصدي الوحيد ان اظهر التفاوت الحاصل فعلا بين ابناء العنصرين في التعليم العالي حتى تستفزنا الحالة الى تبديل رغباتنا الضعيفه الموبوءة برغبات قوية صالحة والى دب روح الغيره في صدور الاغنياء لارسال البعثات العلمية الى اوروبا وحث الحكومة ورجال الجامعة المصرية بصورة رسمية على ضرورة جعل نصيب للاقباط في ارسالياتها العلمية والفنية طالما كانوا من ابناء البلاد واذا اتى هذا الحين ونرجو ان لا يكون بعيدا انقلب ضعفنا الى قوة وجمودنا الى نشاط ونشاطنا الى نبوغ يجعلنا مع اخواننا في مستو واحد يوصلنا واياهم الى الغرض المرجو من الحرية والاستقلال . اللهم امين .

(٣) التعليم الاعدادي

اسلفنا القول الى ان مصر في عصر نهوض عجيب ولهذا النهوض حد لابد من الوصول اليه اجلا او عاجلا ونزيد الان اننا لو نظرنا الى نتائج هذا النهوض لوجدناه يستدعي مزيد رعايتنا واهتمامنا حفظا للتكافؤ وصيانة للمستقبل القريب. ولعل الذين يذهبون انه لابد من حصول التوازن يوما ما بين عدد المتعلمين من العنصرين يذهبون ايضا الى انه لابد من ترجيح كفة اخواننا علينا لرقي مدارسهم عن مدارسنا

اولا ولتوجيه مجالس المديريات جل عنايتها الى تعليمهم وتثقيفهم ثانيا ولاهتمامهم الكافي بجعل التعليم الزاميا ومجانيا ثالثا ولانهم اكثر منا عناية بامر تربية الاحداث رابعا . على ان كل هذه الفروق العظيمه لايجب ان تهولنا الى درجة اليأس ولا ان تثبط عزائمنا من النجاح اذا التمسنا نفس الطريق الذي التمسوه بتنظيم مدارسنا واصلاح احوالها حتى تستطيع ان تؤدي وظيفتها وان تحمل كل ابنائنا فيما لو دخلنا في حركة متسعة تحول فيها امكنة التعليم عن قبولهم . ولا يمكن ان تنتظم المدارس الاعداديه وتكون قادرة ان تعطي التربية العمومية حقها الا اذا نفذت فيها الشروط الاتية وهي :

اولا — جعل التعليم الزاميا ومجانيا.

وثانيا — جعل الغرض من التعليم انشاء القوة الحاكمة في نفوس الاحداث ليتعودوا منذ نعومة اظفارهم الاستقلال في سيرهم بمعارفهم الذاتيه وتحملهم تبعة اعمالهم وليعرفوا انهم اعضاء في جسم الامة وان عليهم واجبات نحوها لابد من قضائها .

وثالثا — جعل حياة الاحداث مختصر حياتهم في بيوتهم وذلك بان يكون المعلمون على مواصلة وامتزاج بهم فيهتمون بكل شأن من شؤونهم ويرشدونهم في كل حركة من حركاتهم

ورابعا — ضرورة غرس روح النشاط والاجتهاد والفضيلة وحب العمل والهوادة في نفوس المتعلمين

وخامساً — ضرورة الانتباه الى ميل الولد وهو في صغره ليوجهوا عقله الى العلوم أو الفنون أو الصنائع التي يجنح اليها بطبيعته

وسادسا — اختيار المعلمين من اصل العلم والصلاح والمتدربين على التربية والتهذيب لان عيوب المربي هي اهم الاسباب العظيمة لسقوط آداب المتعلمين

(٤) مدارسنا وعيوبها .

اقسم بالله اني لم اجد في نفسي حيرة من التوفيق بين المتناقضات مثل ماوجدتها في مدارسنا لتعددها وقلة فوائدها ولكثرة نفقاتها وضعف تعاليمها حتى لا اغالي اذا قلت انها مختله معتلة يتناوبها الانحطاط في كل شؤونها واحوالها وما كان سيرها على بروجرام نظارة المعارف الا حجابا كثيفا تخفى به عن الابصار عللها الشديدة التي لا تبرأ الا اذا تعهدها اولو الامر بانجع دواء وانجح علاج .

وقد تختلف هذه المدارس باختلاف اهل الهيمنة عليها فمنها المختص بالاوقاف وبالجمعيات ومنها المختص بالوجهاء والافراد ومنها الكتاتيب المبعثرة العديمة الفائدة . وكلها مذاود الا مانجا منها بقوة من الله وبروح من عنده دبت في صدور العاملين من اعضاء جمعية التوفيق القبطيه وفروعها ومن اعضاء بعض المجالس الملية ومن جماعة الوجهاء الذين نظموا المدارس التابعة لهم وصيروها لائقة نوعا للتعليم . اما عيوبها ونقائصها بوجه الاجمال فاليك بيانها .

اولا — تفرقها بغير رابطة اداريه تربطها بعضها ببعض حتى ما كان منها تابع لسلطة واحدة . وهذا ما حدا الى استدامة الخلل والفوضى في كل شؤونها واحوالها والى وجود التفاوت بينها بحسب استعداد الجهة المشرفة عليها واقتدارها العلمي والمالي واذا ما كان هذا التفاوت هو اكبر اشكال الضرر على التعليم في المدارس الاهلية كما قال المسيو جبرائيل شارم الكاتب الفرنسوي حينما زار مدارسنا منذ سنوات فالحاجة الكبرى لتدارك هذا التفاوت وما يتخلله من العيوب هي تشكيل ادارة منظمة لتكون خير ضامن لربط هذه المدارس ببعضها وترقيتها الى مصاف المعاهد الاخرى . ولئن لم يتيسر بسط نفوذها على المدارس التابعة للافراد والوجهاء فمن السهل جدا تسيطرها على مدارس الاوقاف والجمعيات التي هي في اشد الحاجة الى هذه الرابطة الاداريه لينتفي منها الخلل وتساس بيد حكيمة الى الكمال .

وثانيا — نقص تعاليمها التي تفور سريعا وتغور سريعا وليس العيب في هذا النقص على شكل الكتب ولا على اصل العقول واستعدادها وانما هو في شكل التدريس حيث جعل المدرسون همهم الوحيد تدريس لطلبة بروجرام التعليم تدريسا سطحيا مجردا من كل شرح وتفسير . هي طريقة عقيمة اوجدت جيلا من المتعلمين غير حاصل على معلومات تامة ولا على معارف ذات قيمة يمكن الانتفاع بها في معترك الحياة ،

وما دام الامر كذلك فالواجب تغيير شكل التعليم بصورة ارقى واوسع مما هو عليه الان طالما كانت الغاية الحقيقية من التعليم ليست الاسراع في الحصول على الشهادات بل في الحصول على تربية بطيئة ثابتة تهذب الصفات والملكات وتنقذ الامة من السقوط ابان نهوضها.وسواء كانت هذه الغاية متبعة في بقية المدارس المصرية او غير معمول بها فقد ارى من الضروري السير على مقتضاها في مدارسنا اعتمادا على الفوائد التي ستحصل منها . وتاييدا لرأيي هذا اشير الى ما قاله الاستاذ الفونس اسكيروس الفرنسوي في موءلفه : اذا كان ما ينفق من الزمن في التعليم غير ضائع بل عائدا بالربح على التلاميذ في استفادتهم من الدروس فلأن نجاحهم في الحياة لايقدر بطول مدة التعليم وانما يقدر بسهولة ادراكهم ما فيها من العلوم وتحققهم بها .

وثالثا ــ قلة عدد المعلمين وعدم كفاءتهم للتدريس ولو على وجه يلائم الحالة الحاضرة . ولا حاجة الى وصف ما ينشأ عن ذلك ويكفي القول ان المدارس مركبة على اساتذتها فاذا لم يكونوا من اهل الخبرة واكثر عدداً وعددا جعلوها عرضة للانحطاط والانحلال .

وقد ظهر ان هذه الخبرة والكثرة لم تتوفرا بعد في مدارسنا فان نسبة المدرسين فيها الى الطلبة كنسبة واحد الى اربعين اي ان لكل ٠ طالبا استاذا واحدا في حين ان لكل ١٦ تلميذا في المدارس الامــيرية

و ٢٤ في بقية المدارس الاهلية استاذا . ولعل القلة المشار اليها هي السبب في جعل نسبة الحائزين منهم لشهادات التدريس وللشهادات الاخرى تعادل خمسة في المائة من نسبتهم في المدارس الاميرية . وهذه النسب هي اكبر مواضع الضعف في مدارسنا لانه كلما كان عدد الاساتذه قليلا ومعلوماتهم بسيطة عن الحاجة كلما كان التعليم جامداً والتربية الناقصة وبالعكس كلما كان كثيرا ومتدربا كلما سار التعليم والتهذيب في منهاج قديم

ومن الغريب اني وانا اكتب هذه السطور دخل علي احد تلاميذ مدرسة الاقباط الكبرى وبيده رسالة يشكو فيها بلسان اخوانه من ان المدرسة لم تعين لهم مدرسا للترجمة ولا اخر للرياضة مع ان السنة المكتبية قد اوشكت على الانتهاء . وبسؤاله عما يتعلمونه في الوقت المخصص لهذين العلمين قال بانهم يقضونه في الممازحة و تلاوة القصص وغالبا في بيوتهم الا انه يغلب على ظني انهم يقضونه في القهاوي التي تحيط بمدرستهم او في حديقة الازبكية التي يجولون فيها صباح مساء وهم متابطون كتبهم . واني لعلى يقين انك لو ذهبت ايها القارئ في هذه اللحظة الى تلك الامكنة لوجدت فيها عددا كبيرا من اولئك التلاميذ المساكين يضحون حداثتهم على مذبح مدارسهم .

اما عدم كفاءة المدرسين فواضحة من انحطاط التعليم نفسه ولان غالبهم ممن ينقصهم الكثير من المعارف او من حملة الشهادات الابتدائية الذين يلقنون القواعد والتعاليم المبهمة والمجملة ويفرضون على

التلاميذ قبولها بلا بحث ولا مناقشة بل وكثيرا ما يشيرون عليهم بحفظ عدد معلوم من صفحات كتاب من الكتب التي تشمل بروجرام التعليم بدون تفسير ما غمض عليهم فيها من المعاني فيضطرون الى استظهارها استظهارا لا تلبث ان تدنو منه عاديات النسيان . وغني عن البيان هذا ان النوع من التعليم اوجد العقم في العقول ونشأ عنه تقييد الامة عن النهوض والارتقاء .

نعم انهم سيقولون ان كثيرا من الاساتذة المتضلعين في العلوم والمعارف موجودون في كل مدرسة من مدارسنا ولكن ماذا يكون نصيب التلاميذ من هؤلاء العلماء الغير المتدربين على التربية والتهذيب ؟ اقول بلا تردد يكون نصيبهم الجمود والقشور من العلوم وهذا ما ينافي الغرض الذي ننشده من المدارس والامل الذي نحلم به من احياء نابتة قوية العلم والتهذيب تستدرك مافاتنا من الضعف والخمول . فحبذا لو التفتت الامة الى هذه المسألة وهبت من كل مكان تطالب المدارس بتعيين المدرسين الاكفاء ليتمكنوا من القيام باعباء هذا الواجب المعضل وليتسنى للطلبة التعليم الصحيح .

ورابعاً — عدم وجود الادوات المدرسية اللهم الا مكاتب ملطخة بالمداد ومقاعد ملتصقة ببعضها التصاق الطلبة فوق قوائمها الغير المتسوية القاعدة وجدران وسقف يمتد بينها نسيج العناكب كما يمتد في الطلل البالي مما لا يقتصر سوء اثره في اضعاف ذكاء الناشئين بل يسلبهم

ايضاً حسن الذوق وعدم الشعور بضرورة النظافة واني وان كنت لا اجزم بأن هذا كان هو السبب في جعل اكثريتنا تتلبس بالقذارة في أثوابها وبيوتها ولكن مما لا نزاع فيه انه موجب للجمود والخمول وكلاهما يؤدي الى اهمال الانسان مراعاة احواله والعناية بشؤونه الصحية

وقد لا يقتصر نقص الادوات على ما تقدم من البيان بل كثيراً ما تجد غرف التدريس خالية من مقاعد المدرسين والواح الكتابة فيضطر المدرس الى الوقوف طول مدة التدريس والاستعاضة عن الالواح السوداء بالجدار فيرسم عليه او يكتب بالطباشير ما يريد بسطه للتلاميذ. هذا مع العلم بان مدرستنا الكبرى خالية من معمل كيماوي تام لاجراء بعض التجارب العلمية فيه حتى تمثل للطلبة التفاعيل الكيماوية وتتراآى لهم نتائجها فيدركون بالحس والعيان السر في استحالات الجواهر والمواد التي تتعاور بعضها قبل صيرورتها النهائية لا ان يحفظوها كما هو الحال الان حفظا عقليا يضطرون فيه الى اجهاد عقولهم للبحث عن مادة او جوهر من الجواهر غاب عن ذاكرتهم . وكل تلك النقائص التي اجملناها يجب ان تستفز العقلاء الى مطالبة ادارات المدارس بجعل غرف التدريس نظيفة ومقاعدها انظف واكثر ملاءمة للنظام حتى يشعر التلميذ بضرورة النظافة ويميل الى النظام في كل احواله وشؤونه كما ولا بد ان يستنهضوا هممها او يرغموها على تزيين جدران الغرف بالخرائط المثلة لعلم تقويم البلدان وبالصور

المنشأة للحيوانات البرية والمائية وبايجاد امكنة للتدريب العملي على مثال ما هو موجود في بقية المدارس لتحصيل معنى الكون في اذهان الناشئين .

وخامساً : شدة ارخائها العنان للطلبة والاساتذة واباحتها لهم الغياب والحضور في اي درس وفي اي يوم بدون مؤاخذة ولا قيد .

ولست ادري ما الذي يستفيده الطالب من هذه الحرية المبتذلة وهي تدفعه الى البطالة وتنزع منه الثبات والاقدام والنشاط والشجاعة بل تنزع به الى خبيث الرذائل كالغش والكذب والتملق والحيلة وارتكاب الدنايا التي كلما توغل فيها كلما اشتدت نشوته منها واصبح من الصعب تقويم اعوجاجه وصد تيار اهوائه وقد لا تقف الاباحة بالطالب عند هذا الحد من الفساد بل قد تزج به في مواطن اللهو الليلي ومنحنيات الشهوات بدون وازع من نفسه ولا مبالاة بوالديه اللذين كثيراً ما يجهلان خطته وسيرة وله من ضروب الحيل والاكاذيب التي تعلمها ما تحول دونها في الوقوف على احواله . اما اذا اتفق لوالد ان تلاقى بولده عرضاً في اثناء التدريس وسأل المدرسة عن اسباب تهاونها في امره لكان مطلق جوابها المشغوليه لكثرة الطلبه او انها عفت النظر اليه لعدم استطاعتها ضبط اهوائه . وهذا الجواب الذي هو اقبح اعتذار يقدم من معهد علم وتهذيب يجب ان يستفز نفوسنا ويدفعنا الى

المطالبة بوضع نظام كافل يحول دون هـذه الاباحة صيانة لاخلاق الطلاب وحفظ لمستقبلهم .

اما مسألة ارخاء العنان للاساتذة فترجع الى ضعف ارادة النظار وفساد الادارة المدرسية فساداجعل المعلم الذي كان يعتبر نفسه ابا مربيا وكفيلا قيما يفرغ كل قوته وجهده ليصوغ من تلك العقول اللينة والنفوس الفتية رجالا عالمين مهذبين عاقلين يفتخر برجوليتهم ونبوغهم فاعلاً يكلف التعليم ليعطى الاجرة وينقد الراتب فلا يبحث في وجوه نفع الطلبة بل في كيفية نيل راتبه وما دام انه يناله على كلا الحالين في الحضور والغياب فقد ازداد تهاملا وعلم الطلبة الاباحة التي يعيشن فيها ولو لم يخلق لاجلها . ولذلك يجب قبل اصلاح المدارس اصلاح المدرسين وقبل اصلاح هؤلاء يجب اصلاح النظار واصلاح النظار لا يكفي اذا لم يكونوا تحت ادارة قوية تدرك اهمية عملها كما اجملنا في مبدأ الكلام .

وسادساً ــ ضيق ابنيتها وسوء اختيار مواقعها . وهذا عيب من اكبر العيوب في معاهد التدريس بل وخطر من اكبر الاخطار يلحق الضعف والخمول والامراض الادبية والجسدية بالتلاميذ ولست ادري كيف ينتظر منها التعليم الراقي والعقول الراجحة والنابتة القوية وهي على تلك الصورة وكيف يستطيع الاقباط ان يروا هذه الكهوف التي اعدت لتعليم ابنائهم ويغمضوا الجفون عنها وكيف غاب عنهم تلك الحقيقة

المقررة من ان حشر التلاميذ في غرف ضيقة قذرة لا تدخلها الشمس ولا يعرفها الهواء مما يضيق فسحة المجال للتصور ويضعف الذكاء الفطري ويقضي على الصحة والاخلاق قضاء مبرما. ذلك فضلا عن كونها واقعة في وسط ازقة قذرة تنتابها الامراض والاوبئة او في وسط اخطاط تحيط بها القهاوي من كل جانب وتضطر اولئك المتعلمين المساكين الى انتياب اماكنها اضطراراً فعليا جريا على قاعدة الاباحة وفساد الادارة

وليت ضرر تلك المعاهد قاصراً على تعطيل مستقبل الطلاب واخماد قواهم بل هو شامل ايضا لكثرة وفياتنا التي جعلت معدل زيادة عددنا زهيدا جدا بالنسبة لمعدل اخواننا وامامنا الاحصائيات الرسمية تشير الى ان غالب المتوفين من الاقباط هم في سن الشباب ومن الذين انتابوا هذه المدارس صغاراً فتخرجوا منها شبانا في سن الشيوخ لا تلبث ان تنزل بهم الامراض التي تملكتهم الى القبور. ولا اشك قطعيا في ان من زار مدارسنا والقى بنظرة على تلاميذها واساتذتها لوجدوجوها شاحبة واشباحاً تعيد الى ذهنه صورة من صور عمال المناجم الذين انهكهم التعب واقسم عليهم بالهلاك. اما انا فاقسم على المتولين امر التربية ان يدخلوا الى هذه المقابر التي اعدوها للاحداث شعاعا من اشعة الحياة..

اقسم عليهم وعلى عقلاء الامة الغيورين على صالحها ومستقبلها والمحبين لتقدمها وزيادة عددها بل واقسم عليهم لآخر مرة ان يرحموا ابناءهم من الامراض ويشفقوا على شبابهم من الموت. واني لعلى يقين

ان هذا القسم لابد وان يحرك فيهم عاطفة الانسانية للقيام بتنسيق المدارس على شكل صحيح ومن ذا الذي تهدد حياته فلا يرتعد ويذعر بل ومن ذا الذي يرى اماله ضائعة ولا يتفطر كمداوقنوطاويندفع لصيانة حياته وتقوية اماله .

وسابعا ـ نقلها الطلاب من فرقة ادنى الى فرقة اعلى بدون اهلية ولا استحقاق كأنهم الات تنقل من مكان الى مكان بلا ادراك ولاشعور وتتحرك بقوة واحدة هي قوة الجهل بامور التعليم . وتلك قاعدة عقيمة زادت الوالدين جهلا باحوال اولادهم واضاعت حياة الاولاد بلا نفع ولا جدوى فوق ماسببته من الاضرار الكثيرة لهم وللامة وللوطن .

وغنى عن البيان ان تلاميذ السنة الرابعة في مدارسنا اذا حاولوا الالتحاق باحدى المدارس الاميريه مثلا فلا يقبلون الا في السنة الثانية اومادونها ومن الخطأ ان نعتبر نجاح المدارس بعدد الناجحين منها في الشهادات النهائية لانه هذه حجة لا يمكن قبولها بعد ان حققت لنا المشاهدات العيانيه ان غالب الناجحين منها هم من الذين سقطوا في الامتحانات عدة سنوات او تعلموا في مدارس اخرى ثم اندمجوا في اخريات عامهم اليها او ممن تعلموا في منازلهم واضيفت اسماؤهم الى كشف المقدمين منها . وكل هذه ادلة يمكن للمعارض ان يستجليها من نفس تلك المدارس

هذا ولا انسى ان اشير هنا الى امر ذي بال وهو اني عرفت

شبانا كثيرين - ويمكنني ذكر اسمائهم اذا احتاج الحال - خرجوا من تلك المدارس بعد اضاعة المال والسنين كما دخلوا ولم يربحوا غير القراءة والكتابة البسيطة اما العلم والتربية فقد تركوهما فيها . وقد اضطروا بعد الخيبة الى التعويل على الاعمال الحرة كالتجارة والزراعة ولكن لا ادري كيف ينجحون وهم لا يدركون من تلك الاعمال شيئا ما . ومع كوني لا انكر نجاح الكثيرين من العصاميين في هذه الاعمال الا ان ذلك كان في زمن مظلم ساد فيه الجهل على الأمة اما في هذا الزمن فالنجاح مكفول في كل شيء على العقول الراجحة اولا وعلى الرقي الاخلاقي ثانيا وعلى التعلم العلمي والعملي ثالثا . وكل هذه الحقائق يجب ان تدفع مدارسنا لتدارك هذا الخطل الفاضح وان تجعل للكفاءة حقا في نقل الطلاب من سنة الى اخرى مع تنشيط الناجحين بالمكافآت المالية وغيرها لتوقظ فيهم روح التنافس الذي هو اكبر القوات تحريكا للنفوس وهزا للقلوب وانهاضا للهمم الضعيفة الخاملة .

وثامنا - تسامحها في قبول الطلبة المسنين العاطلين . وهؤلاء بالرغم عن ان المدارس لفظتهم من عدادها لفظ النواة فهم بيئة فاسدة اضاعت حداثتها في اللهو والخمول واتخذت المدارس في اخريات شبابها تكايا لقتل الوقت لا لتحصيل العلوم . وناهيك بالقدوة السيئة التي يمثلها الطالب المسن لاقرانه الاحداث بل ناهيك بمن يختلف من المدرسة الى الحانة والى مواطن اللهو الليلي مزينا لغيره ممن اوقعهم سوء الحظ

في دائرة التعليم معه الى انتيابها والى الانغماس في منحنيات الشهوات وكم صرع الطلبة المسنون شباناً كانوا على نجابة واداب عالية بارشادهم الى مواقع الفساد والشرور بل كم اودى اولئك العاطلون بحياة احداث وضيروهم مثالاً للشقاء والتعاسة وصورة لتمثيل الروعة والالم . وقد لا اجد قاعدة افظع لتعليم الشرور والرذائل والفساد على انواعه من هذا التسامح الغريب فحبذا لو اظهرت مدارسنا عاطفة الرحمة ولو مرة ً وسدت ابوابها في وجوه اولئك المسنين جريا على خطة الحكومة حتى تستأصل المفاسد من جذورها وحتى تقي الاحداث شرور الاقران العاطلين لتنال الشكر والثناء من جميع الادباء والفضلاء .

وتاسعها اهمالها تعليم الدين اهمالاً كليا . وهذا ما حدا الى اندفاع الكثيرين عن الطريق السوي وصراط الهدى والى زندقة البعض الاخر وكفرهم بالله . ذلك فضلا عن الصفات المنحطة وسافل العادات التي تلبست بعقولنا وتمكنت من صدورنا وجعلتنا نستعظم الاقلاع عنها ولو ان النظر السطحي يعلمنا ان القوة النفسية التي تدفع الى تقهقر الاخلاق هي نفسها اذا دربت على فضائل الدين تكون مبدأ الوصول الى المحجة المثلى وبلوغ الانسان ما سمح ان يبلغه من الكمال واذا كان الامر كذلك فخليق لمدارسنا ان تجعل التعليم الديني من ضمن العلوم الاساسية التي يتوقف عليها نجاح الطالب طالما كان الدين هو المعقل الوحيد الذي تذاد فيه عن حمى التربية التي اصطلح الاخلاقيون ان يسموها سلم ارتقاء لانها

تضع جدا للشرور والمنكرات المعلومة والغير المعلومة وتنشر الفضيلة بين الناس

وعاشراً — اهمالها الرياضة البدنية . مع انها اولى الاسباب التي تنمي القوى الجسدية في الناشئين وتنشئ اعضاءهم من صغرهم قوية تناسب الرجولية وتهيئ اجسادهم لخدمة عقولهم وعزائمهم . وقد أدى هذا الاهمال الى ضعف ناشئتنا وخمولها وجمود عقولها وعدم ثباتها في اي عمل من الاعمال .

واني وان كنت لا اعلم ماهي الحوائل التي تعوق مدارسنا عن تعليم هذا الفن وقد كان من ضمن شرائع اجدادنا التي يسيرون عليها ويقدسونها الا اني اوجه التفات مدارسنا اليه والح على متولي امورها بضرورة ايجاده مشيراً في الوقت نفسه الى قول الاستاذ الفونس اسكيروس الذي يجب ان يتخذ حجة في مثل هذه المسائل ونبراسا لكل امة تريد النهوض والحياة قال :

يجب العناية بفن التمرين البدني قبل العناية بامر التعليم والتهذيب لانه ينمي في الاحداث قوة الاعضاء ويجعلهم يزدادون بالتعب شدة وصلابة ويقاومون في حياتهم صعوبة الاقليم والعوارض الكونية بلا تأثير ما في عزائمهم التي تقوم لها بمطالبها عضلات هي الحديد باساً وشدة حتى يسلموا من السقوط ويستطيعوا ادراك الرغبات والامال .

هذه هي اهم النقائص في مدارسنا ويغلب على ظني ان هناك

نقائص اخرى اشد مفعولا في تأخر الطلبة اتركها لغيري من الباحثين وارجو ان تكون كلها دافعاً قوياً لعقلاء الامة الى القيام بتشكيل لجنة لدرء هـذه النقائص وتنسيق المدارس على شكل يؤدي الى تخريج رجال قادرين على العمل وعلى الجهاد في معترك الحياة ونضالها المستمر بل لتخريج رجال اذا رميناهم على اليابسة ملأوا جيوبهم فضة وذهبا او في قاع البحار رجعوا وايديهم مملوءة باللآلئ والدرر او في الصحراء حولوها الى فردوس نعيم او في الجبال اعادوا اليها الحياة والنمو. ومتى كان ابناؤنا كذلك فبشروا الامة بالنهوض بل بشروها بان فجر الهداية وضوء الرشد قد بدا وعصر الاصلاح وزمن الرخاء قددنا .

الحياة العائلية

٥

الحياة العائلية هي المرأة والمرأة اساس السعادة كما هي ينبوع الشقاء ففي يديها الراحة والتعب النعيم والجحيم فان كانت حكيمة عاقلة وعاقلة متدربة كان كنزاً ثمينا لزوجها ولاولادها ولبيتها وللوطن الذي نشأت فيه وتربت بين ظلاله . وان كانت جاهلة فاسدة وفاسدة طائشة كانت جحيما للعائلة ونقمة للبلاد . فانا لا ارى في العائلة الا صورة المرأة ولا ارى في المرأة الا صورة العائلة وقد قيل ان العالم عشيرة هي امه . والوطن مدرسة هي مدرسته . والعائلة جنة هي ملاكه ومصباحه المنير . على انا لو انصتنا الى العائلة القبطية في مجتمعاتها الخصوصية لسمعنا

صوت الشقاء يصرخ بين افرادها والتعاسة موجودة بينهم بكثرة لا يدركها العقل . موجودة بين الزوج وزوجته وبين الاخ واخته والام واولادها لان المرأة القبطية جاهلة ضعيفة ان تعلمت كانت ناقصة التهذيب وان تهذبت كانت فاقدة التعليم فهي على كلا الحالين سبب هذا الانحطاط المستمر في العائلة وفي المدرسة . في المجتمع وفي البيت

يقولون اننا خطونا خطوة واسعة في تعليم المرأة لان المدارس تفتح في كل يوم لتعليم البنات ولكني اقول اننا ضللنا في فهم تعليمها وظنناه محصورا في القراءة والكتابة دون العمل ودون ما يسميه المتمدنون الحياة العملية كما ضللنا في فهم المدنية الصحيحة فظنناها في التبرج والتزين والتأنق حتى اعتقدت امرأتنا انها خلقت لهذه الحياة فخضعت لها وتلاهت بها عن اتمام واجباتها المنزلية وبسبب هذا الاعتقاد الفاسد أصبحت لا تستطيع في وقتنا الحالي ان تقوم باعبائها .

وفضلا عن هذا الخضوع والتلاهي فقد علمها العلم احتقار الكنس والتنظيف والطبخ والخياطة بحجة ان الاشتغال بها مزر للشرف والعمل فيها منقصة ومعرة حتى أحاط بنا الخدم والخادمات احاطة السوار بالمعصم وحتى صار في عرف فقيرنا قبل غنينا ان المطبخ من شأن الخادم والاثواب في ذمة الغاسلة والطفل في يد المربية أو المرضع أو عجوز الدار وأما الاثاث فهو رهن العثير والخادم . فهذه السيدة المتمدنة «الموضة» بمعرفة القراءة والكتابة وانواع الطيب وضروب الاقمشة

وقبول الزيارة وردها ليس من شأنها العناية بزوج قد ينهكه تعب النهار والعناية بمال قد جمعه بشق النفس والاهتمام بمطبخ قد يأكل من مالها ومال زوجها اضعاف مما تأكل هي وذووها منه ولا الاهتمام بولد يرضع او ولد يدرس او بيت ينهدم ساعة فساعة او اثاث يتلف أو خادم يسرق أو خادمة تنهب . ذلك شأن المتعلمة وحسبها من الوصف انها جاهلة ففي طيات الجهل ما يكفينا عن العد والحصر . فنساؤنا المتعلمات والجاهلات لسن نساء بل اناثا وهذا ما حول نعيم العائلة الى جحيم بل هذا ما صير غيدنا يئن من وطأة الفقر ويشكو من الضيق وحيثما كان الفقر فهناك موطن التعاسة .

ولا ريب ان كثيرين يرمونني بالمغالاة في ما ذهبت اليه ولكن يكفي للدلالة على صحة هذا القول ان يجول الانسان بين المنازل فيجد ما يشاء من قذارة وامراض . يجد المرأة التي تهز العالم بيسارها تملأ قلب زوجها هماً وكآبة . يجد خصام المرأة مع رجلها شغلها اليومي لانه يثقل كاهلها بالخدمة المنزلية ويسخرها لتربية اولادها بل يجد حديثها في المنزل والمجتمع والمعبد قاصرا على المرآة والمشط والشريط والاقمشة والدانتلات والازياء وويل لزوجها اذا لم يجب مطالبها لتباهي قريباتها وصديقاتها فامرأة كهذه صناعية أكثر مما هي طبيعية تملأ بيوتنا اليوم لهي الخطر العظيم على الامة بل القوة المخربة للعائلة وللوطن للحياة وللبيت للدين وللدنيا

نعم لا انكر انها وديعة مثل الحمل تعادل طهارة قلبها طهارة

وجنتيها ورائحة عطر ثوبها رائحة عطر عفافها ولكنها كما قلنا قليلة الدراية بالامور البيتيةضعيفةالارادة بواجبات الامومة تتصور الحياة ثوبا وحلى كانها خلقت لتعيش في جنة من الجواهر والحرائر ولكن هي الجحيم لها وللعائلة التي يعروها الشقاء ويدب بين جوانبها ديب العذاب

وان تصور الحياة لها ثوبا وحلى كان سبب اندفاع بعض الشبان الى الزواج بالاجنبيات وتفضيل البعض الآخر العزوبية الى آخر الحياة كما يتضح من الجدول الرسمي الآتي :

السن	اعزاب		متاهلون		مترملون	
	ذكور	أناث	ذكور	اناث	ذكور	أناث
٠ — ٤	٥٢٥١٥	٥٦٠٨٩	١٤	١	٠٠	٢
٥ — ٩	٤٩٨٠٩	٤٨٥٠٢	٧٤	٨١	١٤	٠٠
١٠—١٤	٤٢٦٦٨	٣٢٧٤٣	٢٠٦	١٥١٠	٦٥	٩٩
١٥—١٩	٣٠٧٢٥	١٤٤٧٠	٣١٧٤	١٣٤٠٩	١٣٤	٢٤٥
٢٠—٢٩	٢٠٤٧٣	٤٨٥٧	٣٠٩١٤	٥٠٢٨٩	٤٠٧	١٥١٤
٣٠—٣٩	٣٥٤٣	١٨٢٤	٤١٧٠٨	٤٠٣٩٧	٥٣٦	٣٨٦٢
٥٠—٤٩	١١٧٩	٢٢٧٩	٣١٠٥٤	٢٤٥٣٠	٧٣٦	٧٠٩٤
٤٠ فافوق	١٢٢٦	١٦٠٣	٤١١١٨	١٩٦١٦	٤٠٠٧	٢٥٤٤٢
الجملة	٢٠٢٦٣٦	١٦١٣٧٣	١٤٨٢٦٢	١٤٩٨٣٣	٥٨٩٩	٣٨٣١٩

وهذه الارقام التي تبرهن لنا على وجود ٦٠ الف شاب و٢٠ الف عذراء بدون زواج يؤيد ما ذهبنا اليـه من توقف الشبان عن الزواج ووقوف سوق الفتيات وقوفاً يستدعي الانقراض ويستلزم التلاشي أما اخواننا فيبكرون في الزواج حتى بلغت مئوية المتأهلين منهم ١٢٤ر١ في حين ان مئوية المتزوجين منا ١٠٦ر١ . اما نسبة ارامل المسلمين الى عدد اناثهم فتعادل ١٢ر١ في المائة ونسبة ارامل الاقباط ٩ر١ في المـائة وبين ذلك بون يعزي الى كثرة الطلاق عنـد المسلمين وندرته عند الاقباط . غير ان تلك الندرة في الحقيقة اكثر من المعتاد بل وزادت في العهد الاخير الى درجة لم تكن في الحسبان وغالب أسبابها ترجع الى خيانة الرجل لزوجته فتتأثر هي بالمثل خطواته وتكسر قيود الامانة بالرغم عن طبيعتها وعفافها . وهو قول حق لا يحتاج دليلا وكل من له المـام باحوال رجالنا اليوم يعلم أنه لو وجدت شريعة تحتم للمرأة ان تطلق بعلها لعلة الزنا التي تطلق هي بها لكان ٩٠ في المـائة من الرجال مطلقين من زوجاتهم . فقبل ان يضبط الرجل امرأته يجب ان يضبط نفسه ليتمكن من الحكم عليها حتى ينتفي الطلاق الذي يؤدي الى كثرة العازبات والى تمكن الفساد من جسم الامة

(١) العزوبية واضرارها

نرجع بعد ذلك الى الكلام عن العزوبية واضرارها فنقول ان بقاء مثل هـذا الجيش الجرار من الاقباط بلا زواج من أكبر الاخطار

على حياتهم الذاتية والجنسية والادبيةوالاقتصادية . فاماالاخطار الذاتية فاهمها تشويه الصحة وقصر الحياة من تعريض الالوف التي تسير سربا منقطعاً عن البشرية الي الامراض والعلل التي تنتابها من ضرورة الرضوخ للنواميس الطبيعية وانتياب الاسواق العمومية . وقد قال الاستاذ كاسبرالبلجيكي أنه اذا فرض زمن موقوت وعملت نسبة الاموات ما بين العزاب والمتزوجين نرى انه كلما مات ٣١ في المائة من العازبين مات ثلاثة من المتزوجين فقط وقال الاستاذ جرونباخ الالماني ان عدد الذين يموتون من العزاب بين سن الثلاثين والاربعين يزيد نحو ٢٠ في المائة من الذين يموتون من المتزوجين في هذا السن لان المتزوج أكثر انتظاما في معيشته الداخلية عن العازب واحسن تغذية واقدر على استعمال الوسائل الصحية وابعد عن الاسراف في الشهوات وكلها أمور تعد من الاسباب الداعية لتطويل الاعمار .

اما الاضرار الجنسية فمدارها تقليل النوع لعدم التناسل اذ تقرر أن الجنس البشري اذا لبث بدون زواج لا يدوم زمانا طويلاً حتى يفنى وينقرض. وتأييدالهذا القول اشار الرحالة ستنالي الانكليزي الى أن الازدياد الزهيد في بعض الامم لابد وان تنعكس ايته ويحل محله التناقص العظيم على التعاقب حتى يؤول بها الى الانقراض . وقد تأكدت لي هذه النظرية بالعيان فان سكان جزر الفيجي بالاوقيانوسية كانوا ٢٠٠ الف ثم ازدادوا بعد عشر سنوات نحو ٣٠ الفا وبعدها عادوا الى التناقص شيئاً

فشيئاً حتى انقرضوا ولم يبق منهم الا عدد قليل لا يذكر . وقد بحثت كثيراً عن اسباب نقص المواليد وقصر اعمارهم فاتضح لي انه من انعكافهم على الشهوات وانصرافهم عن الزواج

اما الاضرار الادبية والاقتصادية التي تعتري العازب فهي الانقياد للشهوات والاسترسال في ارتكاب المعاصي والابتعاد عن كل حاسة ادبية وحب الذات والانفاق بكثرة لفرديته. واذا اطلقنا لفظة الفردية على العازب فلانه قلما يفتكر بغيره لان ليس له ما يجذب قلبه. وليس له اولاد ولا امرأة بل ليس له ما يقلق راحته ولا ما يدفعه لان يقدر حسابا لغده . وقد راجعت معظم ما كتب في تأثير الامراض الادبية والاقتصادية على العازب فوجدت الجميع متفقين على انها اعظم خطر يتهدد حياته وحياة امته بوقوف تقدم العلوم والصنائع

وبناء على كل هذه الاضرار والاخطار نقول ان هذا الجيش العظيم من الشبان لو تزوج وتناسل لزاد عدد الوافدين منا عن الراحلين زيادة عظيمة نوجد بها قوة حيوية في البلاد لا يستهان بها وتمكننا من تقوية مواهبنا العقلية وانمائها نمواً لا يضارينا به احد .

ثم واذا افترضنا ان كل واحد من الستين الف شاب ينفق سنويا على ملاهيه ٢٤ جنيها باعتبار جنيهين في كل شهر وهو اقل تقدير طبعا لكان مجموع ماينفقونه سنويا ١٨٤٠٠٠٠ جنيه وهو مبلغ عظيم جداً لو انه انفق على العلوم والصنائع والفنون واصلاح احوال الامة لكان

الاقباط اليوم من ارقى امم الارض واغناها كما كانوا قديما . بل لو فرضنا وجود جمعية بيننا تجمع من كل عازب عشرة غروش سنويا وانفقت مجموعها على زواج الفقراء والفقيرات لتكونت من ذلك هيأة اجتماعية راقية تساعد على بقاء النوع ونموه

وقد لا يؤخذ من قولي هذا ان الفقر هو الحائل الوحيد دون الزواج لان شعباً يكون عددالمتزوجين فيه من الفقراء نحو ٧٠ في المائةمن مجموع المتأهلين لا يجوز لاحد أن يذهب في توقف شبانه عن الزواج الى الفقر . بيد أن الحائل الوحيد هو كما قلنا اهمال تربية البنات ونزيد عليه اهمال تعليم الدين للبنين فلو تربت الاولى وعرفت معنى الحياة وتعلم الباقون دينهم تعليما صحيحاً لانتفت العزوبيةوسمت الافكار الى الزواج عملا بقول الله تعالى: ليس جيداً أن يكون آدم وحده بل نجعل له معينا نظيراً (تك ٢ : ١٨) وقوله أيضاً : لذلك يترك الرجل اباه وامه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحداً (تك ٢ : ٢٤) . وهذا القول وحده هو سر عمومية الارتقاء الحيوي في الامم الغربية . فلننشده كما انشدوه ولنتبعه كما اتبعوه لتصل الينا اشعة الاشراق . وليحل النور محل الظلام وتقع الزيادة مواقع النقصان

(٢) عيوب زواجنا

اذا كان الزواج هو الرابطة الادبية للانسان وخبز الحياة الذي لا يستطيع أن يعيش بدونه بل الجامعة المتينه بين الرجل والمرأة

اللذين هما اساس البيت وعليهما تبني الهيئة الاجتماعية قواعدها البشرية فقد اصبحت تلك الرابطة بيننا ادنى رتبة من رتبة الاتحاد الذي يربط الحيوان لحفظ النوع لان الحيوان يتبع البداهة وهي شريعته اما القبطي فشريعته غير هذه ومع ذلك فهو يقتبس بداهــة الحيوان ولا يكتفي باخذها على ماهي بل أخذ يدفعها الى ابعد انحطاط باتخاذ الزواج سبيلا للحصول على شرف أو رغبة في مال أو ميراث حتى قلما تجد رجلا أو شابا يعتبر اتصاله بزوجته اتصالا روحيا وقلبيا تتنا كرفيه الذات تنا كرا يجعله واياها انسانا كاملا وجسدا واحدا بل يعتبره شرطا يخوله حق امتلاك احدى الفتيات التي لا تعلم من أمره شيئاً وهو لا يهمه من شأنها غير الزينة التي انصرفت اليها واحبت كل ادوات التاجر التي تأكل عواطفها وشعورها ومال زوجها المسكين الذي استعبدها فاشقته وابكاها فاهلكته ومنه الداء وعنـدها الدواء وهو العلة وهي الشفاء

ولا خلاف أن عدم فهم الغرض الحقيقي من الزواج اولا وجهل المرأة ثانياً هما اصل هذا الشقاء بل سبب المشاحنات والنفور وشقاء العائلات وانحطاط اخلاق واداب الاطفال الذين تنتقل اليهم عيوب والديهم بسهولة وتنمو في افئدتهم الرطبة ونفوسهم اللينة . وكثيراً مانرى الرجل يهضم حقوق زوجته ويدوس على عواطفها وشعورها ويعاملها معاملة الامة لا الزوجة والام ويدفعها الى الرضاء في كل حالة فتندفع

مسيرة لا مخيرة بل كثيراً ما نراه سكيراً أو مقامرا أو متهتكا يجلب عليها كل شقاء وبؤس ومذلة فترضخ مستكنة على الضيم دون بحث في امر سعادتها ولا في امر سعادته . فهذه المرأة على وداعتها ورضوخها لم توفق الى السعادة ولماذا ؟ لانه تنقصها التربية العالية . ينقصها عرفان واجبات الحياة . ينقصها الاهتمام بكل ما يمس مصلحة بنيها واولادها ومستقبلها . ينقصها التفكير والاناة . ينقصها العقل والحكمة لتتمكن من تقويم اخلاق زوجها ومن تحويل وادى الهموم والاحزان الذى تهيم في جوانبه الى مقر راحة وسلام .

قال الفيلسوف بترارك أن امرأتي التى أتلظي بوطيس غرامها جعلتني أحب الهي . وانني قد أحببت عقلها لاجسدها وبرهاني على ذلك أزدياد حبي لها كلما تقدمت في السن فان جمالها قد ابتدأ بالذبول في قليل من الزمن ولكن عقلها كان يزداد ازدياداً أشغفني حتى كلفت بها فلو كنت لاأحب فيهاسوي جسدها لكان حبي لهاقد فترمن زمان بعيد فلتشهد علي الالهة انني لم أشعر لغيرها بهذا الاحساس وأود لو يري الناس حبي لها كما يرون وجهها لان حبي كوجهها نقي خال من تشويه والفضل لها في كل ما أنا عليه من الشهرة لانني لولا افكارها الحسنة والاحساسات التي زرعتها في قلبي لما ثبت فيه بذار الفضيلة الذي زرعته في وهي التي نشلتني من الوهدة التي كان جهل الشبيبة قد هورني فيها وأظهرت لي طريق السماء وقادتني للوصول اليه و بالحقيقة

أن على المرأة تقويم الرجل

وسئلت امرأة الامبراطور أوغسطينوس بماذا أمكنها أن تستولى دائماً على قلب هذا الملك الجبار قالت بأنني كنت أفهم مرغوبه من اشارته وخضعت له وحفظت أوامره كلها ولم اتعرض قط في حياتي للسؤال عن أفعاله ولم أكلمه عند جهله كأنني لا أعرف شيئا ثم انصحه في أوقات سكونه وهموده باللطف واللين .

وكل هذه الادلة وغيرها مما تملأ صفحات التاريخ تثبت لنا أن المرأة مطالبة باصلاح زوجها فاذا كان الرجل رأس المرأة فالمرأة أعظم من الرأس لانها روحه التي توحي اليه بالمكارم أو الانحطاط .فاذا رأيت رجلا فاسداً فاحكم بضعف روح زوجته ووهن في عواطفها واذا وجدت رجلا راقيا فاحكم برقى زوجته .وبناء على هذا القياس المحسوس تكون زوجاتنا في أسفل درجات الانحطاط .

على أن هناك أسبابا أخرى جعلت حياتنا العائلية أشد تعاسة وأكثر ظلمة ذلك لان أغلب الزيجات أصبحت منضمة بقوة الجمال مقدسة بشريعة المال .فالغني يطلب فتاة جميلة والفقير يطلب فتاة غنية أو يطلب الاثنين معاً المال والجمال .فاذا اتفق ونال أمنيته لا تدوم سعادته الا لمدة معلومة ثم يحل محلها الشقاق والخصام وكلاهما رأس خراب البيت وزوال الهناء العائلى .لان الجمال الذي هو أساس الحب أمر عرضى زائل لا يلبث أن يضمحل ويعقبه الكره والنفور كذلك المال الذي هو

أساس التفضيل يجعل الرجل مستعبداً لزوجته فاما الرضوخ وأما الفراق وهما امران احلاهما امر. لهذا اذا قال السيد المسيح لتلاميذه لايمكن أن تعبدوا ربين الله والمال فانا أقول لكم لا يمكن أن تجدوا سعادتين المرأة والمال.

ثم أن الطريقة التي اتبعت الآن من اختيار الزوجين بعضهما البعض قبل الزواج لم يمنع البتة حصول الشقاق في العائلة لان هذا الاختيار مبني في الغالب على الجمال الخارجي لا على الآداب والفضيلة فالعذارى يغرهن تأنق الشبان وزخرفتهم ولا يهمهن من أمرهم اذا كانوا سكيرين أو مقامرين أو متهتكين حتي لتجدن امهاتهن وقريباتهن يتفرسن في وجوههم عند دخولهم وخروجهم ليحكمن على صورتهم بالقبول او الرفض كذلك الشبان لاينظرون الى آداب العذاري وفضيلتهن وجمال عقولهن بل كل الذي يروقهم هو جمال القد واعتدال القامة وحسن الملبس وكثرة الحلى والجواهر. وكل هذا ينافي الغرض المقصود من الزواج ومن السعادة البيتية التي نراها تنهار يوما بعد يوم ويحل محلها النزاع والخصام بين الزوجين ويبقى ابديا بقاء رباط الزواج الذي لاينفك طول الحياة وعلى ذلك أقول يجب زيادة التدقيق والتأمل في معرفة أخلاق الزوجين قبل اقترانهما معرفة حقيقية وذلك لايتأتى الا من اجتماعهما ليختبر كل من الفتاة والفتى الآخر ويعرفا طباع بعضهما حتى اذا رأى أحدهما في رفيقه ما لا يضمن له الراحة في مستقبل العمر رجع عن عزمه

فضلا عن ان هذا الاختبار لازم جداً لتوطيد عاطفة المحبة المستديمة في نفسي الخطيبين لانها أساس الزواج والجامعة التي تتألف عليها السعادة العائلية .

ولرب معترض يقول وما الحاجة الى الاجتماع والتعارف اذ كل من عائلة الخطيبين تبحث وتنقب عن خصال وأحوال الاخرى لاتصال أخلاق الاباء والامهات الى البنين والبنات فجوابا على ذلك نقول أن جل العارفين باخلاق وخصال العائلتين هم من اللائذين بافرادهما وهؤلاء كثيرا ما يحولون السواد الى بياض والفساد الى طهر والفقر الى غنى والجهل الى علم على اعتقاد منهم انهم يحسنون عملا وهم في الحقيقة يجرون الفتى والفتاة الى الهاوية ويجعلون زواجهما شراً مستطيرا وعذابا يفنيان في ناره . واذا تحقق ذلك كانت مسألة البحث عقيمة ومضرة معا خصوصا اذا أضفنا اليها تأثير الخاطبات اللاتي تغويهن العائلات بالمال لتزويج بناتها حتى لا يكن حملا ثقيلا على عاتقها .

هذه هي أهم الاسباب التي أوجدت الشقاء في العائلة القبطية ودفعت غالب المتزوجين الى أحياء الليالي في الحانات والقهاوي والمجتمعات الفاسدة فرارا من بيوتهم كأنها صراع مزعج يدفعهم الى الهرب فينفق الواحد منهم ايراده على أهوائه واغراضه غير مكترث بما تفرضه عليه الجامعة الزوجية حتى لو سألت ٦٠ في المائة من العائلات عن أحوالها لوجدتها في ضيق وعوز في حين ان أربابها في سعة تكفيها مؤونة الشقاء .

أنالا اقول الرجل ملاما بل الوم المراة لانها لو اعدت بيتها لاستقبال ضنكه وتعبه وتحويله الى راحة وسلام لما حاول الفرار من بين يديها ولما ثقل كاهله بالديون ولما تركها تبكي من نار استعباده لها بل لما ترك أولاد يلتحفون العذاب لا يراهم ولا يرونه الا في الاسبوع او الشهر من صدفة واتفاقا .

واذا فرضنا ان الرجل كان بالغا نهاية التقهقر فالشر عارض لا كيان له بذاته فلو فتشت المرأة عن اسباب شره واظهرت له النصح بلا تعنيف وتأسفت معه على سقوطه لتممت الواجب الذي تنتظره منها الانسانية وتناديها به الوطنية وقد حصرت بها نصف امالها .

قال فيكتور هوجو شيخ فلاسفة الفرنسيس ان الشر طارئ حوال فليس سكير الا ويتحرق بعد سكره . ولا متهتك الا ويسطو عليه الخمود ولا مقامر الا ويتأثر على ماخسرته يمينه ولا متكبر الا ويتقزز من كبريائه ولا مجرم الا ويوخزه ضميره فلو انتظرت حين يسطو عليه الهمود ونصحته لاصبح انسانا كاملا والواقع يؤيد هذا القول تأييدا واضحا فكم من شرير صار رجلا فاضلا وكم من بربري جلف دبت في نفسه عواطف الشرف والانسانية . ولذلك اعود فاكرر القول من ان كل اعوجاج من هذا القبيل في الاخلاق والنفوس لا تقومه الا المرأة بنفسها فاوجدوا لنا امراة فاضلة نوجد لكم رجالا اقوياء كبار النفوس اذكياء العقول .

(٣) كثرة اليتامي وضعف النسل .

هذه مسألة تحتاج الى بحث أكثر من المسائل السابقة لانها اعظم خطراً من العزوبية نفسها حيث تعرض الالوف من الاطفال الى الامراض والى التيتم وتعرض حياة السيدات الى الموت . على ان جل ما وقفت عليه بعد البحث الطويل لمعرفة اسباب كثرة اليتامي بيننا وضعف النوع من الوجهة الصحية ينحصر في ستة اسباب وهي اولا ـ الزواج المتأخر او المسن ـ ثانيا ـ الزواج العاجل او الباكر ـ ثالثا ـ الرضاعة الحيوانية ـ رابعا ـ وسائل منع الحبل ـ خامسا ـ عدم النظافة والترتيب ـ سادسا ـ المسكرات وكل هذه العلل التي اجتمعت في جسم الامة سببت ضعفها الحالي وضعف عزيمتها ووهن عواطفها .

الزواج المتأخر

اذا شبهت هذا النوع من الزواج بالمعول الذي يهدم كيان الامة ويكثر التيتم ويضعف التناسل فاني لا اكون مبالغا خصوصاً اذا اضفت اليه قول المستر لويس مدير الاحصاء في سنة ١٩٠٧ من ان مئوية اليتامي بين الاقباط اكثر منها بين المسلمين . وبديهي أن الرجل الذى يتزوج في سن الاربعين او الخمسين يكون اشبه بالحية التي بعد ان تمر على الاقذار تجيء لتنام بجانب شجرة لتسمها وتذبلها فلا تعود تثمر وان أثمرت فثمراً ضعيفا رديئا تمر به العواصف فتنيخه الى الحضيض وتكفنه في جوف الارض وهكذا هو فلا يلد الا اولادا ضعيفي البنيه عصبي المزاج مصابين

بامراض مختلفة لا يعمرون طويلا وان عمروا كانوا يتامي لا ام لهم ولا اب ومما يزيد هذه المسألة وضوحا ما لاحظه الاستاذ بوشار الفرنسوي من ان ٣٠ في المائة من اولئك الازواج يموتون عقب اقترانهم بسنتين او اربع و ٢٠ بعد خمس سنوات و ٥٠ بعد عشر على الاكثر وهم الذين قد تمكنوا من مقاومة الطبيعة ولم يرضخوا لنواميسها القاهرة في شبوبيتهم اما مئوية الموتى من اولادهم فاقل من ذلك بكثير

على أن المهم في هذه المسألة هو تيتم الاولاد الذى يعرضهم في الغالب الى الشقاء والى الفقر المدقع بل والى احتمال الضيم ونير العذاب من الاوصياء أومتولي أمورهم الذين كثيرا ما يتلاعبون باموال اولئك القصر ويغتالونها وكثيراً ما يغضون الطرف عن تربيتهم وتعليمهم وعن المساواة بينهم وبين اولادهم ولو مساواة ظاهرية . هذا فضلا عن الاعتبارات الاخرى التي تثقل كواهل اولئك الصغار من نساء الاوصياء والمتولين اللاتى يستعملن كل غلظة وقسوة في معاملتهم وانه ليشق على أن اتصور او اصور حال اليتامي فاتركه لذوى الشعور الرقيق بل اتركه للاباء الذين لا يتقون الله في ابنائهم

غير ان تلك المتاعب والويلات الشداد التى يلاقيها اليتامي من هذا الصنف اخف وطأة مما يلاقيها اخوانهم الذين قضى عليهم سوء الطالع بعدم وجود عائل لهم يقوم بتأدية حاجياتهم الضرورية للحياة . ومن منا لا يعرف الضنك الذي يلقاه اليتامي . من منا لم يروعه منظر اطفال صغار

يجوبون مع امهاتهم الطرقات والمنازل طلبا للكفاف بعد ان كانوا في سعة . من منا لم يسمع بان الفقر دفع يتيما الى الاجرام وساقه الى الجريمة بل من منا لم ير أطفالا كانوا متوقدين ذكاء فحولهم اليتم الى جمود وعقم فشبوا جهلة فاسدين تنحط بوجودهم الامة التي تلعنهم فيلعنونها لانها هي الجانية عليهم .

إن الملاجئ الخيرية لو فتحت والاحسانات لو توالت لتحسين حال اليتامي لا تكفي لتجفيف دموعهم واخماد شجونهم بل تذكرهم بالشقاء الذي هم فيه يهيمون فتصغر نفوسهم وتضعف مواهبهم ولكن الذي يرفع هذه التعاسة هو العدول عن الزواج المتأخر هو تمنع الاباء عن تزويج بناتهم بالمسنين ليخففوا الويل عن اليتامي والمذلة عن الارامل اللاتي يعتبرهن الناس فاسقات دنسات مهما كن عفيفات طاهرات حتى لتجدن أرفعهم كمالا وأدبا يحسب سلامها جنحة وابتسامها جريمة ولو عدل وعدل الناس لانزلوا النقمة على والدها الذي اتعسها ولاتحدوا على هدم اركان ذلك الزواج الفاسد براً بامتهم .

الزواج الباكر

كشكل فاكهة في غير أوانها مر المذاق سيء العواقب . ونتائجه انضواء الجسم وقصر الحياة لعدم نمو الزوجين . وقد قال العلامة طود الشهير ان غالب وفيات الاطفال والشابات في مصر يرجع الى هذا النوع من الزواج الذي يخلق اولاداً ضعيفي البنية ويجعل المرأة عرضة للامراض

الرحمية و العصبية فتسرع اليها الشيخوخة ويدهمها الموت قبل الاجل . هذا فضلا عن الاضرار الادبية من اختلاف الزوجين المستمر لعدم ادراكهما واجبات الزوجية . واذا أضفنا الى ذلك تيتم الاطفال من أمهاتهم وسوء المعاملة التي يلقونها من زوجات أبائهم رأينا ما يحزن ويفتت المرائر بل لو حللنا اخلاق اليتامى من هذا الصنف لوجدنا ما يضعف الامل بزوال الصفات المنحطة من جسم الامة كالجبن والكذب والنفاق والخداع وما شا كلها مما يستعملها المستعبد للتخلص من عذاب المسترق

واذا كان من المدهش ان الزواج الباكر قد زاد بيننا زيادة عظيمة كما يوضحه الجدول الذي نشرناه في هذا الباب مع ان قانون الكنيسة يمنعه منعا باتافمن اغرب المدهشات ان يصبح سجية من سجايا المانعين فقد اذكر عدة حوادث وقعت من هذا القبيل في مديريات الفيوم والمنيا واسيوط وكان للكهنة يدفيها حتى انهم عقدوا مرة زواج فتاة لم تبلغ العاشرة من عمرها لقريب لها دون اكتراث بالقانون ولا بالشريعة ولا بالمنشورات التي يصدرها البطريرك من وقت الى آخر الا انه يسرني مع ذلك ان اقول ان الاهالى قد ادركوا أخيراً فساد هذا الزواج وعزموا على السير بحسب النظام الكنائسى والاجتماعى الذي يطيل الحياة ويزيد الرفاهية في العائلة .

الرضاعة الحيوانية

ويسميها الكثيرون الرضاعة الصناعية اي ترضيع الاطفال بواسطة زجاجات اللبن المعروفة بالمصاصة وهي منتشرة بيننا انتشاراً مريعاً مع انها السبب الاولي في القضاء على حياة الاطفال كما اثبتته الاحصائيات السنوية التي ينشرها الاطباء وملأت الصحف والمجلات ووقف عليها الخاص والعام . واذا كان خطرها من الوجهة الطبية اصبح معروفاً الى هذا الحد لكثرة ماتناولته اقلام الباحثين فاني أقصر بحثي الآن من الوجهة الاجتماعية لابين اضرارها الجسيمة في الحياة العائلية .

يقول الاطباء ان المصاصة هي الآلة الوحيدة لحصد ارواح الاطفال وانا اقول لكم ان من مستلزماتها توالي الاحزان على العائلة واهمال الام واجبات الامومه وتعودها فيما بعد على اهمال تربية اولادها اذا نجوا من خطر الموت وتثقيل عنق الرجل بالنفقات الطائلة التي تستدعيها المصاصة ويستدعيها المرض فالموت وامامكم المراة التي تعمد الى هذه الرضاعة فهل رايتموها الا خاملة ضعيفه وهل رايتم اولادها الا مضطربي العقول ضئال الاجسام ممتقعي الالوان خائري العزائم كأنهم اشباح لاتلبث ان يتخطفها الموت ويقضي على هناء العائلة وعلى رقي الامة التي اصبحت من جراءها في انحطاط مستمر ان لم يكن من رداءة النسل وضعف الذرية فمن كثرة الوفيات وقلة العدد .

على اننا لو حللنا استعمال المصاصة عند الضرورة حيث تكون الام في غاية العجز عن ارضاع ولدها فما الذي يحلله لغيرها من القويات

القادرات على الرضاعة بل ما الذي يحلل للغنيات ان يكلن ارضاع ولدانهن الى المرضعات اللاتي كثيرا ما يكن جافيات الطباع قذرات الابدان يعرضن الرضيع الى الامراض المعضلة الفتاكة ! لا يحلل لهن غير التمدن الكاذب الذي دفعهن الى الاستنكاف من الرضاعة واعتبارها من المزريات بشرف النساء . وهو تحليل غريب يجب ان يشهر به ويسخر بصاحبته حتى تعتاد على ارضاع ولدها بنفسها لان امتناعها يعد أكبر اثم ترتكبه كما قال جان جاك روسو حيث تسلم ولدها الى الموت وتقود عائلتها الى الخراب ووطنها الى الدمار والخسران

بل ومما يبرهن على أهمية الرضاعة من الام نفسها ان الوالدات اليابانيات يرضعن أولادهن حتى السنة الثانية والوالدات الانكليزيات كما قال الاستاذ الفونس اسكيروس يرضعن أولادهن بانفسهن ولهذا فالمرضع عندهن لا يراد بها الا المرأة التي تقوم على الولد لتربيته ومما قاله أيضاً انهن لا يلتجئن الى المرضعات أو الماصة لارضاع اولادهن الا عند الضرورة الشديدة أي في حالة ما تكون الام في نهاية العجز والمرض .

ولا بد انكم جميعاً تذكرون ان الاقدمين أوجبوا الرضاعة على الام وجعلوها في جملة الشرائع فلماذا لا توجبونها انتم كذلك حتى تخففوا عن انفسكم الاحزان وحتى تصونوا تلك الارواح الطاهرة من الامراض والموت وحتى تعلموا المرأة واجبات الامومة التي تتجلى في

كل امرأة غربية سواء كانت غنية أو فقيرة أميرة أو ملكة لانها من علامات الرشد والرقي وان من عظماء الملكات اللاتي قدسن الامومة الملكة بلانش أم الملك لويس التاسع فقد اصيبت بانحراف يوما فجاءت احدى وصيفات القصر وارضعت الملك الصغير فلما أن علمت بذلك أسرعت اليه ووضعت أصبعها في فمه حتى تقيأ ما رضعه ثم التفتت الى من حولها وقالت لهن : لا أطيق أبداً ان امرأة تختلس مني حق الامومة . هكذا يجب ان تكون المرأة لا تعرف الا الامومة ولا تتغني الا بها ولا تعمل الا اليها . فلتقتدي امرأتنا بها وتحذو حذوها لتدفع الموت عن أولادها وتضع نصب عينها هذه الكلمة (لتفن صفة الزوجية في صفة الامومة)

وسائل منع الحبل

عادة قبيحة وبيلة سرت في كثير من عائلاتنا سريان النار في الهشيم فاتبعتها على اعتقاد منها انها خير وسيلة للنجاة من كثرة النفقة التي يستلزمها النسل الكثير وما كانت في الحقيقة الا جريمة كبرى ترتكبها تارة بواسطة الوسائل العامة التي تشير بها العجائز واصبحت من ضمن أدوات المنزل وجهاز العروس وتارة بواسطة الاطباء الذين يسهلون استعمالها بواسطة العقاقير المهلكة التى تنسج بين المرأة وبين الصحة أمراضاً أشد من أن يقو عليها ما بقى من العقاقير الطبية . وقد كنت أظن ان هذه العادة غير موجودة بيننا بالمرة لاعتقادي انها خصت

بالنساء العموميات حتى لا يحملن الانسانية شروراً فوق شرورها ولكن جاءني صديق وعرض علي الذهاب معه الى احد الاطباء لكي يعطيه دواء لامرأته يمنعها عن الحبل لانه اقتنع واياها بما رزقهما الله من الاولاد فاستشرت في ذلك حضرة الدكتور راشد يوسف فاعلمني مضرة ومخطرة ومن نتائجها التهاب الرحم والمبيضين ووصول الالتهاب الى البريطون الذي يودي بالحياة

ومما يدعو الى الاسف ان هذا الصديق ليس أول رجل انقاد الى هذه العادة بل ان كثيرين من أمثاله يتورطون فيها ويجلبون على نسائهم كل أشكال الضرر وانواع العذاب . واني لا ذكر ان سيدة ذهبت الى المرحوم الدكتور فرنهوست باشا في الاسكندرية تطلب منه دواء يمنعها عن الحبل فكان جوابه لها : «خير دواءلك ان تبتعدي عن الاجتماع بزوجك لان كل العقاقير الطبية لا تمنع الحبل وانما تمنع عنك الصحة والعافية» واذكر أيضاً أن موظفاً كبيراً ذهب الى الدكتور فوكيه يطلب منه مثل هذا الطلب لامرأته فطرده من عيادته قائلا له «اذا كنت تشفق على امرأتك لمرضها فامتنع عنها» والامثلة على ذلك كثيرة يمكن أن يستجليها القارئ من الاطباء الذين يتقون الله في الارواح . على أنه لو كان ضرر هذه العادة الوبيلة قاصراً على ما ذكرنا لكان خير سبيل للاقلاع عنها لكنه و يتعدى الى الحياة الاجتماعية فيجرد المرأة من صفات الامومة لانصرافها الى العلاج ويسوق الرجل الى

مهاوي الفقر في سبيل التبذيرات التي تستدعيها المعالجة وكلا الامرين موجب لعدم العناية بأمر الاطفال واتخاذ الحيطة اللازمة في تربيتهم اتقاء ما يصيبهم من المفاسد والرذائل والتيتم ان لم يسبقوا والديهم الى احد الاموات .

ولست أقول هذا القول الا وأنا على حقيقة مما اقول واكبر أسف مني ان تطرق تلك العادة الى الاقباط انما من مجاراتهم الاجانب في كل شيء مجاراة عمياء ومع ذلك فالاجانب قد ادركوا اضرارها واستعاضوا عنها عند مسيس الحاجة بالامتناع عن زوجاتهم حتى لا يكون نسلهم ضعيفاً رديئاً . زد على ذلك أن غريزة الامومة في الاجنبيات تربيتهن العالية على أشد ما يمكن ان تكون حتى ان الواحدة منهن إن توقفت عن الحبل زمنا ما تصرف كل عنايتها الى عمل اللعب وغيرها وتحنو عليها حنوها على اطفال حقيقيين حتى لا تنسى واجباتها الشرعية . وكل ذلك يوضح لنا ضرر تلك العادة ونتائجها الوخيمة ويحمل عائلاتنا على نبذها لانتشال نسائهم من وهدة الموت وأولادهم من هاوية التيتم

عدم النظافة والترتيب

اني لاسف أشد الاسف أن أقول ان مبلغ النظافة عندنا ضعيف ضعفاً معيباً حتى لا يجب ان نغلوا في التعجب اذا رأينا أمتنا تكتسب بين الامم شهرة صحية سيئة وليس على القارىء الا أن يتصور منزله

لتتجلى له الفوضى في منظرها القبيح والقذارة في أبشع صورها ان لم يتعاص على فكره ان يفرق بين المطبخ وغرفة الاستقبال وبين القصر والكوخ

على انه بغض النظر عن بعض المستثنيات نجد أن منازل السواد الاعظم من الطبقة الوسطى كهوف أعدت للاحياء فالاقذار تملأ جوانبها والعناكب تمتد بين سقفها والعثير يغطي أثاثها والصداء يعلو أوانيها والحشرات تسكن فراشها وتلد فيه وتتناسل حتى تضطر لكثرة التوليد الى افتتاح ثقوب لها في الحيطان . والطيور تحلق وتجدف في غرفها . والرضيع ملقى على وثير تعاف النفس المرور بجانبه والادوات مبذدة هنا وهناك بلا نظام ولا ترتيب والطفل يغوط في وسط الغرف والرجل يبصق ويمخط على البسط والحيطان والمرأة واولادها في أطمار رثة بالية لا يستحمون في الاسبوع مرة والمطبخ مستنقع تتصاعد منه الروائح الكريهة وتنهال فيه الاوساخ وبالاجمال فان مساكن تلك الطبقة مع بذاختها وثمين أثاثها ورياشها قذرة منحطة تنتشر منها الحميات الخبيثة والامراض الوبيئة التي لا تتولد جراثيمها تولداً محلياً بل هي حيوينات مكروسكوبيه تستضيف منازل وأجساد البخلاء على اجسادهم ومنازلهم بالتنظيف والاعتناء كما قال اللورد شسترفيلد

وأتعس من هذه المنازل مساكن الطبقة الاخيرة فهي أشبه بالسجون المظلمة حيث ترى العشرة في محل واحد ينامون على الارض يغطيهم لحاف واحد وهل يقي الواحد الكثيرين ويأكلون خبزاً أسوداً

ويشربون من كوز واحد ولا يستحمون في العام مرة . ولو استطعنا ان ننظر ما وراء هذه المساكن لرأينا شقاء ودموعا والاماً ومفاسداً وشروراً كثيرة بل لرأينا سكانها وهم يخرجون منها كمن يخرج من وراء غمامة سوداء شنيعي المنظر عديمي الحركة صفر الالوان اشبه بالاموات منهم الى الاحياء. ولست أقصد بأبناء هذه الطبقة فريق الفقراء بل أقصد بهم العمال والصناع والكتبة الاصاغر مع ان منازل أمثالهم من الاجانب في غاية النظام والنظافة وشاملة لكل معدات الحياة المنزلية الضرورية الملائمة لحالتها . .

واذا كانت هذه الكلمة التي وصفت بها منازلنا وسوء حالتنا الداخلية هي كلمة جارحة فهي حقيقة واقعة لا يمكن نقضها نعم حقيقة يجب أن يقولها كل محب لامته ويعلنها كل غيور على صالحها لان وجودها في وسط قذر كهذا انما هو سبب امراضها الاجتماعيه والعمرانية التي لا تحصى ولا تعد. انما هو منشأ جمودها وتراخيها وفشلها في كل عمل لان القوة التي ندعوها نشاطاً ما هي الا نتيجة انبعاث القوه الحيوية في الجسم النظيف بدليل ان الامزجة تقوى وتنبسط لرؤية النظافة والترتيب وتتصدع وتنقبض من القذورات والفوضى وسوء المعيشة حتى لتؤثر في بقية الحواس وأول مظلمة تجريها محو اية الذكاء من العقول ويليها ضعضعة العزيمة من النفوس والثبات من الصدور . ويمكنكم اذا شئتم ان تستجلوا هذه الامراض المهلكة بأنفسكم لتتضح لكم الاسباب

كما اتضحت لكم النتائج

قال اللوردافبري أن الاقذار في بيوتنا و ابداننا تؤول الى سوء المعيشة وتكون من جملة المؤثرات على الصحة بل على حيويه الجسم عموماً كما وأن النظافة تؤدي الى الابتهاج وسلامة الضمير وخلو الفكر فتزيد الجسم صحة والعمر طولا والحياة سعادة . وقد لا يقتصر التنظيف على أن يكون سطحياً انما يجب ان يكون من الداخل وشاملا الاجسام والمساكن والملابس والمشروب والمأكول. ومن الجلي انه بقدر انتظام معيشة الانسان وتفرغه لشؤونه يكون أقرب الى النجاح وأرجى للوصول الى الكمال من المرتبك في معيشته الذي نراه على الغالب رجلا ناقصاً لا يبلغ في الكمال الدرجة المطلوبة بل ويخسر أيضاً الحياة الاخرى لان الاعتقاد بأمور الصحة واجب مقدس ومن نظر منكم في طقوس دينه وجد أن كثيراً من الفروض المرسومة تحت عنوان الواجبات الدينية ليس الا صحياً محضاً . والمثل القديم يقول النظافة من الايمان . وبوفون الفيلسوف الفرنسوي يقول انها أقوى من المال وأعظم من المجد وأجمل من الزهور واطرب من الغناء تبتسم في الشقاء وتشفي من الاوبئة وتقوي عند الضعف وتحيي من الممات . واميل زولا الكاتب الاجتماعي يقول أيضاً يحزنني أن أرى بيتاً تعشعش فيه الاوساخ ولا تجول فيه مسحة من النظافة التى تضرم الذكاء في العقول وتنعش الافكار وتقوي الاجساد على العمل والجهاد بل الاستاذ سلفانوس

استاول يقول لا يقتصر ضرر القذورات والاوساخ على انتشار الحميات والامراض بل يحدث احتكاكا وتهيجاً في الة التناسل فينبه الشهوات في الرجال والصبية وتضطر الاخيرين الى استعمال أيديهم فتتلبك أجوافهم وتتعطل وظائفهم وتحدث فيهم انزعاجا وتثاقلاً . ومامنامن يجهل اضرار هذه العادة التي لا تؤثر فقط على الصبي بل اذا مد الله في أجله وتزوج ورزق أولاداً انتقل التأثير السيء اليهم .

فيا أيها القوم اذا كنتم تنادون بتهذيب العقول وانماء المواهب وتشغيل الادمغة وأحراز المعارف والصنائع والنجاح في كل عمل مع تنمية احترام النظافة والنظام في نفوس الاطفال فعليكم بتنظيف ابدانكم المهملة لان العقول السليمة لا تكون الا في الجسم السليم وصحة الابدان تنتج الاخلاق الجميلة . بل اذا كنتم تريدون نظاماً وقوة ودماً نقياً خالياً من جراثيم الامراض السامة وصدوراً لا أثر فيها لجنود هذا العدو الذي يبني حصونه وابراجه في رئاتكم ورئات أبنائكم وعيونا براقة لا يعرفها الرمد فيطفيء نورها فعليكم بتطهير بيوتكم من ادرانها حتى تصلح للسكنى فانما البيوت ملاجيء تقينا افات الحياة التي تدب وتسعى في كل مجتمع انساني ولكم الخيار بين ان تحصلوا على الصحة والعافية بالنظافة والنظام وبين أن تبقوا خالدين في انحطاطكم بالاقذار والاوساخ .

المسكرات

لاجدال في انها من أكبر مواضع ضعفنا ومواطن عللنا كما هي من جملة أسباب تأخرنا في مضمار الحضارة والارتقاء وسيظل المجتمع معذبا بسببها دهراً طويلا ان لم يقم زعماء الاراء ويحذروا الامة منها بوصف عواقبها الوخيمة حتى تردها مشفوعة باللعنة والاحتقار

يقول المثل الانكليزي أن من البله ان يعتقد الانسان بزوال اخطار وهمية ليلقى بنفسه في اخطار حقيقية وهكذا نحن ترانا بلهاء نعتقد بان الخمور تذهب اللوعة والشجن وتحدث الانشراح والسلوى فنلقي بانفسنا من حيث لا نشعر في هاوية التهلكة والامراض الوبيلة ومع كل ما رأيناه من أضرارها واحتملناه من مصائبها وأوزارها فقد انتشرت بيننا وعمت فلم تكن بلدة ولا قرية بيت ولا ناد يخلو منها وحتى صارت في موالد وأعياد الشهداء من الواجبات المقدسة التي لا يتم للمحتفلين السرور بدونها مهما ارتكبوا من الخطايا بتلويثهم جوانب المعابد والاديرة بخمور حرم الله تعاطيها. وقد يكون من الخطا في القياس الاعتقاد بان هذه العادات منشؤها التقاليد القديمة فانما منشؤها الحقيق فساد التربية الاهلية التي ورطتنا في البذاءة والرذيلة والاضطراب والتسرع والضلال وكل ماهنا لك من ضروب الانحطاط التي قضت على سعادتنا الداخلية وعلى تقدمنا الحيوي.

قال المسيو جبرائيل شارم أن أفراط الاقباط في شرب «العرقي»

والمسلمين في تعاطي الحشيش من أكبر عوامل التأخر في الامة المصرية لان القبطي يستخرج هذا الخمر بنفسه ويخزنه في بيته ليجرع منه قبل تناول الطعام كما يجرع الافرنج النبيذ والشمبانيا .أما المسلم فغالبا ينزوى في قهوات لتناول الحشيش بعيداً عن بيته .وقد فات هذا الكاتب أن السواد الاعظم من شبان الاقباط وهم مجموع الشعب الذي تتألف منه الامة وعليهم يتوقف صلاحها وارتقاؤها ينفقون لياليهم مثل اخوانهم في اقفاص جهنمية يطلق عليها اسم «خمارات» حتى اذا فقدوا رشدهم من المشروبات المغيبة للعقول وأخصها «العرقي» عادوا الى بيوتهم متلمسين جدران المنازل حتى لا يهووا الى الحضيض من تثاقل خطواتهم وضعف ادراكهم المتولد من خمود القوى الحيوانية وهبوط القوى النفسيه

ومن المحزن أن فريقا من الاغنياء في المدن لا يسكرون الا على قارعة الطريق بدون حياء ولا خجل فتراهم صفوفا صفوفا خارج الحانات الى ما بعد منتصف الليل حتي اذا استوفوا من لهيب الخمر زجوا بانفسهم امافي بيت ماخور تقضى على ماتبقى من شعورهم وأما في بيوتهم حيث يقضون على راحة زوجاتهم وأولادهم ويزيدون عيشهم نكدا وتنغيصا. وهذا الفريق الذي تصرعه الثروة الى هذا الحد فيلج الحانات طول حياته هو الفريق الذي لا يستفيد الناس ولا أهله منه بل كثيراً ما يستعين بميوله الشريرة على ايصال الاذى اليهم اذا استطاع .

ولم يقتصر رجالنا في التوله بالخمور على ماتقدم بيانه بل نرى الغباوة

تبعث حتى في احكامهم وأفهامهم على تناولها في بيوتهم فتجد الوالد يأخذ مجلسه حول أطفاله الصغار وأمامه قارورة من الزجاج يطلقون عليها اسم « بنورة » يجرع منها العرقي غالباً جرعة بعد أخرى ثم تدفعه نشوة الخمر الى النكات القبيحة مع أولاده فيدلل هذا او يطلب من ذاك أن يسب أمه ويشتم قريبه وان هزته النشوة أشرك أولاده معه في الكحول فيفرغ لكل منهم نقطتين في الكأس يطلقون عليهما اسم « خيط » فان الهبت حلوقهم وبدي عليهم التأفف ازداد قهقهة وصخباً . فما الذي نقوله لاولئك الاباء الذين يبذرون في صدور أولادهم هذه البذور السيئة نقول انهم يجنون عليهم وعلى أمتهم اكبر الجنايات وافظعها ويدفعونهم الى الادمان على الخمور من صغرهم وكثيراً ما نسمع أن ولداً ينتهز فرصة غياب والديه ويفض قناني الخمر مع رفاق له تقليداً بوالده حتى اذا انتشى وتهيجت حواسه أعوزته كمية من الكحول في المرة الثانية أكثر من الاولى فلا يمضي قليل من الزمن حتى يصير سكيراً مدمناً ينضوي في زوايا الحانات وخبايا الخمارات منفقاً ماله ومضحيا شبابه وأخلاقه وحياة أمته بين الكاس والطاس ولهذا نري أن اخطار الخمور ليست قاصرة على رجال اليوم بل على رجال الغد بل على الذرية القادمه . ولهذا نرى أيضا أن شباننا وأغنياءنا يبخلون بالدرهم على المشروعات النافعة ويجودون بالالوف على الخمور والملاذ .

ولقد يزعمون أن الخمر يصلح المعدة ويفتح الشهية ولكن ظهر

الآن خطأ هذا القول فان الاستاذ كرونكر السويسري أثبت أن ١٢ درهما من الكؤول تكفي لاضطراب الوظائف المخية وتشويش الخلايا العصبية في اشد الناس قوة وأمنعهم صحة ذلك لان الشعور العصبي يهبط من ٩١ قدما يقطعها في الثانيه الواحدة الى ١٣ قدما فقط فيجعل حواس شاربه أضعف سبع مرات مما كان عليه في حالته الطبيعية

ويزعمون أيضا أن المشروبات الروحية تساعد على الهضم ولكن الاستاذ كاسبر اثبت أن العصير الذي تفرزه المعدة بقوة الكؤول لا يحتوى على بيبسين وانما هو سائل تخرجه الغدد المعدية لمقاومة فعل هذا السم القوى حتي لا تكون وطأته شديدة على الانسجة التي يلامسها .

وكذلك يزعمون أن الخمر يساعد على تنبيه الاعضاء الجسديه وما هو في الحقيقة الا محرض على الانحلال الجسدي بأضعاف حركة القلب وشلل المراكز العصبية كما قال الاستاذ متشنكوف الروسي .

وهنالك فريق يعتقد أن كمية الكؤول في العرق أقل من غيره فيكثرون من تعاطيه مع انه يحتوى عليه بنسبة ٧٠ في المائة في حين أن نسبته في البيرا ٦ر١٤ في المئة وفي النبيذ من ١٠ الى ٢٠ وفي الكونياك والوسكى من ٤٠ الى ٥٥ أضف الى هذا ما يستعمله الخورجيه الخبثاء في استخراجه بوضع الثلاثة أرباع كؤول والربع ماء ثم يغلونه مع عقاقير مغيبة لاهلاك السكيرين وسلب أموالهم

واذا كان من الصعب أن نحصي كل مضار الخمر فيكفينا القول انها افقدت الامة نصيباً وافراً من القوي العقلية والادبية وزادت في أبنائها الطيش والنزق والتقلب والغرور وضعف الارادة وأورثت الكثيرين الفالج والخبل والسل وغيره من الامراض المنتشرة في بيوتنا وفي مجتمعاتنا وأسلفنا القول عنها انها من أكبر مصادر الشقاق العائلي وفساد تربية الاولاد وسوء ادارة المنازل والمعيشة؟

على انه لايجب أن نيأس من ايقاف تيار شرورها لان اليد القديرة يد الدين القويم التى أحيتنا الى اليوم وفتحت أمامنا باب النجاة لاتزال معنا وها هي تفتح لنا أبواب السعادة بلا تعب ولا عناء فاقرأوا سطورها وتمعنوا فيها جلياً ترحموا أنفسكم وتجعلوا امتكم صالحة للحياة لان الاخلاق الجميلة اذا كانت تنتج صحة الابدان كما قال فنيلون فانا أقول لكم أن صحة الابدان تنتج الرقي والحضارة .

(٤) التربية الاهليه

اذا كانت حالتنا العائلية على ما أجملنا وامرأتنا على ما وصفنا فتربية الاطفال وكيفية احتضانهم وتغذيتهم تكون ناقصة ومعيبة بطبيعة الحال لان العائلة أساس الهيئة فاذا فسدت العائلة فسدت الهيئة بل لان الطفل يستمد من عقل امه قوة او ضعفاً ومن عينيها المفتوحتين نوراً أو ظلاما ومن نفسها ارتقاء أو انحطاطاً.

وغني عن البيان أن أهم العوامل في تربية الاطفال هي الوراثة والوسط فالاولى معناها أن الاطفال يرثون عن ابائهم الطباع والاخلاق والقوى العقلية بل يرثون أيضاً طباعا تنحدر اليهم من جيل اوجيلين وقد قال الاستاذ سلفانوس استاول أن الانسان لا يعيش لنفسه بل له علاقة بالجيل الماضي وواجبات نحو الجيل الآتي فاولاد اليوم يعدون أجساما وأخلاقا لاولادهم ولاجيال وأمم تخلفهم أي ان الافكار والاميال والطباع التي تتأصل فيهم اليوم تنمو في كبرهم وتسودهم فتكون دليلا على ما تصير اليه الامة المنحدرة منهم بعد مائة عام .

اما الوسط فهو العائلة أي المدرسة الاولى للانسان تزرع في صدره المبادئ وتنقش على لوح فكره الطري الاصول فلا تقوى على ازالتها الايام والاعوام لان قلب الطفل كما قيل صحيفة بيضاء يرسم عليها العلم او الجهل سطوره كما ترسم عليها الفضيلة او الرذيلة نقوشها

وقد يطول بي الوقت لو استرسلت في هذا البحث فاكتفي بما المعت اليه واتابع كلامي بذكر بعض مالاحظته من العوارض الاخرى في التربية الاهليه سواء كانت راقية أو منحطة واليك البيان

أولا — انأكثر الوالدين يربون أولادهم على قواعد عقيمة فاما ان يضغطوا عليهم ضغطاً شديداً واما ان يربوهم على الدلال فالضغط يؤثر عليهم عند ادراكهم كنه الحياة تأثيراً سيئا والدلال يعدمهم كل همة ويعودهم على كل رذيلة .

وثانياً ـ يلفظون أمامهم الفاظا غير لائقة وينشرح صدر الوالد على الاكثر اذا حمل طفله على ذراعيه ليقبله فينتف هذا عثنونه أو يبصق على وجهه أو يسمعه بدل القبلة الابوية واحدة من الشتائم التي يسمعها منه أو من والدته أحيانا أو منهما معا في شجارهما وبهذا يزيلان من نفسه غريزة الحياء والوقار والفضيلة ويحلان محلها السفاهة والقحة والرذيلة وغيرها من أمهات الرذائل .

وثالثا ـ يمثلون لهم عيوب الخلقة وضروب التشوه عقوبات الهية فتتولد فيهم القسوة والغلاظة والسخرية باصحاب العاهات فلا تعود عواطفهم تتنبه للرفق بالبائس والرحمة على الفقير العاني . وهذا ما حد الى البخل العام الذى قبض الايدي عن البسط في كل مشروع حيوي أو خيري عام .

ورابعاً ـ يشحنون عقولهم بالخرافات والاحجبة والطلاسم والقصص الوهمية التي يطلقون عليها اسم «حواديت» ويخيفونهم بالبعبع والعفاريت والشيطان فتتجسم هيبتهم امامهم فتنقبض صدورهم وتنكمش افئدتهم فينشاون خنوعين فقراء الحواس والشعور لا يعرفون الاقدام والشجاعة والنشاط وكم سد هذا الخوف على الكثيرين منا مسالك الرقي واقعدهم عن العمل وقبض على رقابهم بقوة حديدية فهبط بهم الى وادي الفشل والخيبه .

وخامساً ـ يتركونهم يهرعون الى الازقة والطرقات عرضة

للانقياد الى رفاق أكبر منهم سناً وأمهر في أساليب الفساد فيوردونهم موارد التهلكة ويصوغون منهم اشقياء وشريرين قساة القلوب غلاظ الاكباد .

وسادساً — يجعلون منزلة أحدهم مرتفعة عن الآخر فيولدون في نفس الاول الاثرة والشره والكبرياء والغضب وحب الذات وغير ذلك من الصفات القبيحة وتتأصل في نفس الثاني الكراهة والمذلة والعبودية والمضادات الكثيرة لاخوته وأبويه حتى لينزع به الاعتقاد الى انهم ألد اعدائه واذا ما كره اقرب الناس اليه فلن تعد تتولد في نفسه محبة النوع الانساني .

وكل هذه العوارض فوق جهل الامهات بوسائل التربية الصحيحة اشراك تفتح أفواهها لابتلاع الاطفال بتعاقب العلل والامراض الاجتماعية عليهم فيترعرعون سقيمي الطباع فاسدي الاخلاق عليلي الاميال سيئ الاقوال والافعال يردون موارد التهلكة ويندفعون الى مواطن الخطر والقي بنظرة على صغار الاقباط الذين يملأون الازقة واصلاحية الاحداث يتضح لك الامر بل القي بنظرة على شبانهم الذين يختلفون الى القهاوي والحانات التي اصبحت اليوم مكاتبهم ودور عملهم تظهر لك أسباب تحول قوة الخير فيهم الى الشر والغيرة العمومية الى الغيرة الشخصية .

هذه نتائج التربية الاهلية الا أن في امكاننا تلافي كل هذه النقائص

والعيوب اذا وجهنا جل عنايتنا الى تهذيب الفتاة تهذيبا صحيحا مناسبا لطبيعة وظيفتها لتهذب عواطف بنيها وأخلاقهم بحيث تجعلهم يشبون على شريف الخصال ومستقيم المبادئ التي تؤهلهم الى اتمام كل الوظائف الشخصية والحيوية العامة وعندها تتحول هذه العقول العقيمة الى عقول منتجة وهذه القفار الجرداء الى جنة مثمرة خضراء تتوفر فيها السعادة ويرفرف عليها ملاك السلام

(٥) تربية البنات

ثبت أن لا نهوض للامة الا بنهوض المرأة ولا نهوض للمرأة الا اذا تعلمت وتهذبت تهذيبا قويما يزيدها دعة ولين عريكة ومعرفة بالجمال الحقيقي الذي مصدره النفس أي تهذيبا يصوغ من الفتاة امرأة كاملة تجعل بيت والدها وأخيها وزوجها وابنها جنة زاهرة ترفرف فوقه السعادة ويهرب منه الشقاء وتعتز بها الانسانية التي يتوقف القسم العظيم من حياتها عليها .

على أن التعليم المدرسي الحالي ليس كافيا لتربية فتاتنا أن لم يضم اليه التهذيب العملي وكم من فتيات جاهلات بالقراءة والكتابة أكثر تهذيبا من فتيات متعلمات مع أن التهذيب والكمال هما دعامة العائلة وركن سعادتها فان كانا قويين كان البناء متينا وان كانا ضعيفين لا يلبث أن يتداعى البيت الى السقوط

قال العلامة شوبنهور الالماني يجب أن نعلم الفتيات بين أربعة

جدران أو بين أربعة اناجيل حتى يهذبن التهذيب الخالي من كل شائبة وحتى لا يكون هناك موجب لفساد أخلاقهن لان أخلاق الفتاة كآلة الفونوغراف تلتقط كل شيء وينطبع فيها كل شيء ولما كانت عاطفة الميل النفساني فيها قوية كان الخوف من فقدان فضيلتها شديداً اذا تعلمت ولم تتهذب التهذيب الراقي المنطبق على قواعد الدين ووصايا الفضيله التي حفرتها يد الله والتي تجعلها كاملة عاقلة تسعد زوجها ويسعد زوجها بها .

فنحن نطلب اليوم تهذيباً راقياً منطبقاً على قواعد حكيمة حتى تقدر الفتاة أن تقوم بالواجبات المنزليه كترتيب مسكنها وتربيه أولادها والاقتصاد في وسائل معيشتها اقتصاداً يجعلها تعتبر الدراهم عبارة عن الاستقلال والحياة والشرف والوجاهة ولهذا المعنى مدح العرب بجل الحرائر من السيدات كما مدحوا فيهن الحياء وخوف العار والمذلة

وواضح أن تربية راقية كهذه لا يمكن أن نصل اليها من مدارسنا الحالية خصوصاً من تلك المدارس التي تتولى أمورها اليد الاهلية واليد الحاكمة واليك البيان

المدارس الاهلية

غير صالحة بالمرة للتعليم والتهذيب لانها تجري بلا نظام ولا نظر في وجود النفع وتستدعي انقلابا كبيراً لان دور الفتاة أكثر همية من دور الشاب وهي مربيته تزرع في قلبه الفضيلة وعشيرته تهذبه

بفضيلتها الى طريق الفضيلة وأمه ترشده بكمالها الى طريق الـكمال فصلحتها اليوم لا تقتصر على معرفة كلمات الاستقبـال وعشرة البيت ومحادثة المعلمة فهي حياة شبيبة حياة بلاد حياة أمـة تصبح غنية بعلمها وادابها ولذا أقول انه يجب من كل بد زيادة العناية في ترقية هذه المدارس وايجاد معلمات مهذبات فيها يعرفن كيف يربين أمهات الغد المسؤولات عن سعادة العائله ومستقبل الامة وكيف يقوين فيهن ملـكة التفكير وقوة النفس والارادة والصبر والثبات والتعقل واحتقـار الامجـاد الـكاذبة حتى يتسنى لهن معرفة ان في ذاتهن قوتين قوة حب الجسد لتنازع البقـاء وتخليد النوع وقوة حب النفس بترقية النفس بل نريد معلمات يعرفن كيف ينمين في نفس فتاتنا حب الوطن فلا نلبث أن نرى الرجل وطنيا بكل معني الـكلمة وكيف تربينها على التآلف مع رفيقاتها فلا يطول الزمن حتى نرى جامعتنا القومية قد تألفت وارتبطت وكيف تلبس مما حاكته يد الوطني فلا يلبث أن يقتدي الرجل بها فتعيش صناعـة الحياكة والنسيج وكيف تملأ بيتها بالاثاث المصري فتتحول الابصار الى احياء مصانع الوطن ومزارعه وكيف تعيش مع زوجها وتسعد عائلتها وكيف تعجن وتطبخ وتربي أولادها وتحتضنهم وتنظفهم وتطهر منزلها فلا نلبث أن نرى عائلتنا قد ارتقت وتربيتنا قـد تعالت وأخلاقنـا قد سمت الى الدرجة التي تعد لنا في الحياة الدنيا جنة قبل جنات الخلد

على أن مثل هذه التربية الكاملة تستدعي زمناً أطول حتى تستوفي الفتاة كل أصولها وقد أجمع المشتغلون بترقيتها على ضرورة مزاولتها للدرس والعمل حتى تبلغ سن العشرين لتتمكن في خلال هذه المدة من أن تتعلم التعليم العلمي والعملي وتتقنهما اتقانا حسناً يجعلها مستعدة للحياة المنزلية ويكون ضماناقويا لسعادتها

وقد لا يجب ترك هذه المدارس في انحطاطها ونقائصها اعتماداً على انشاء الكلية التي لو تمت فلن تفتح الا بعد سنين طويلة ولو فتحت لا تمتد فروعها الى جوانب البلاد ولا تمكن الرجل الفقير من ارسال بناته اليها وعندي انه اذا لم تتحسن مدارسنا فخير للامة أن تترك بناتها للطبيعة وتسلم أمرهن الى الفطرة حتى لا يخسرن من شمائلهن الخيرية المولودة معهن الا قليلا

المدارس الاميرية

يقولون انها أقوم المدارس الاهلية جمالا وشكلا ونظاماوأنا أقول لكم انها أكثر اهمالا في التربية الصحيحة وأضعف في التعليم لاسباب كثيرة أهمها اهمال تدريس علم الاخلاق روح الفتاة وسياج فضيلتها وكمالها وثانياً تعيين مدرسين للتعليم مع المعلمات وهؤلاء مهما كانت نزاهتهم ودرايتهم وعلمهم لا يستطيعون تقويم المتعلمات التقويم المطلوب مثل المتعلمات فضلاً عن الفساد الذى يلحق بالفتيات من وجودهم ولا أقول فساداً بالمعنى المتعارف بل بالمعنى الادبي وان هذه

الثامه في تلك المدارس من الامور التي تذهب بمستقبل الفتيات وتعرض حياتهن لاخطار كثيرة لا أرى وجوباً لذكرها . ولذلك أجد نفسي مصيباً في كل ما اقرره عنها وفي كل ما أقوله من انها غير مفيدة لتعليم الفتيات بل فاسدة لهن لانها تخالف القاعدة الاساسيه في تعليمهن من جهة ولانها تجر عليهن ويلات من جهة أخرى . وانه ليسرني كثيراً أن يكون عدد بناتنا فيها لا يتجاوز العشر فتيات منهن اثنتان في القسم الاعدادي و٨ في القسم الابتدائي .

وزيادة على ما تقدم أقول أن بعض هذه المدارس ومدارسنا لا يخلو من وجود معلمات فاسدات الاخلاق يفسدن أخلاق المتعلمات وآدابهن فضلا عن اتكالهن على العائلة في تربية الفتاة لاعتقادهن أن واجبهن مقتصر على تعليمها قواعد اللغة والقراءة والكتابة فقط مع أن المدرسة معمل كبير تسلمها العائلة هذه المخلوقة الصغيرة الرطبة الناعمة الساذجة لتعمل منها امرأة عارفة كاملة ولتهذب فكرها وقلبها وروحها لا أن تجعلها مسخة تنكرها الانسانية وتنكرها أمها وينكرها أبوها .

المدارس الاجنبية

هذه المدارس وان تكن تربيتها أعم وأحسن من تربية مدارسنا الا انها تعلم بناتنا ما يجعلهن أجنبيات عن الوطن وعن الامة وعن اللغة وعن الدين والعقيدة فيتفرنسن أو يتكلبزن فيها ثم تدفعهن الينا بعدأن تكون قد غرست في قلوبهن الاخلاق والطباع والمبادئ الغربية التي

لا تلائم خطة زوجها ومبادئه فيقع بينهما النفور ويحصل الشقاء بل واذا دام الحال على ما هو من أمر تهذيبها فسوف يصبح الاقباط أجانب باعماق قلوبهم لان دماغ الرجل موقوف على أعماله أما عواطفه وأمياله فموقوفة على عواطف المرأة وأميالها

هذه هي مدارس الفتيات في بلادنا ومن العبث أن تنهض الامة من قعودها وتقوم من سقطتها وتستريح عائلاتها من شقوتها اذا لم تتحسن حالتها تحسينا تاما كاملا لتتهذب بناتنا التهذيب اللازم

عدد القارئات والاميات

واني اورد هنا جدولا بعدد القارئات والاميات بيننا وبين اخواننا لاثبت به ان حالة التعليم النسائي ضعيف جداً . واليك البيان

السن	عدد القارئات		عدد الاميات	
	مسلمات	قبطيات	مسلمات	قبطيات
٠ ـ ٤	٢٠	٦	٤٨٣٩٣٥	٥٦٠٩٢
٥ ـ ٩	١٧٧١	٧٢٨	٧٠٩١٢٧	٤٧٩١٦
١٠ ـ ١٤	٣٠٠٥	١٥٥٤	٤٧٦٢٠١	٣٢٧٩٨
١٥ ـ ١٩	١٨٩٢	١٢٥٨	٣٧٧٦٧٩	٢٦٨٦٦
٢٠ فما فوق	٣٨٩١	٢٢١٩	٢٠٧٦٩١٠	١٨٠٠٨٨
المجموع	١٠٥٧٩	٥٧٦٥	٥١١٣٧٥٢	٣٤٣٧٦٠

واذا دلنا هذا الجدول على وجود ١٦ متعلمة في الالف بين الفتيات القبطيات و٢ في الالف من اخواتها المسلمات أي ان نسبتها ثمانية اضعاف نسبة اخواتها فهذه النسبة وان كانت حسنة من حيثية المقابلة العددية في نظر البعض الا انها سيئة جداً من حيثية كثرة الجاهلات فضلا عن كون المتعلمات تعتور تهذيبهن نقائص عديدة يجب تلافيها . فاسمع كيف وصف المسيو كليمانسو الوزير الفرنسوى تربية بنات وطنه قال.

اذا بلغت الفتاة الثانية عشرة من عمرها وقد اتمت دروسها وعرفت التاريخ والجغرافية واداب اللغة عرفت انه ينقصها شيء لا بد من درسه وتعلمه وذلك الشيء هو كيف تصير امرأة :

فاذا كانت غنية وجب عليها ان تعرف كيف تتفق مع الخياطة على أجرة ثوبها وكيفية تفصيله وثمن قماشه ولون ذلك القماش ومتانته واذا كانت فقيرة وجب عليها أن تعرف كيف تفصل ثوبها وكيف تخيطه بل كيف تشتريه وكيف تعرف متانته وفي المنزل كثير من النفقات الصغيرة اذا أدركت سرها وفرت المال الكثير واذا رزقت ولدا عرفت كيف تربيه وكيف تداويه اذا اعتلت صحته قبل وصول الطبيب فالبنت يجب ان تكون خياطة وطباخة وممرضة وطبيبة . وهذه هي الحياة العملية التي تنصرف اليها الهمم كما تنصرف الى فتح المدارس العلمية .

وحيث ان الامة شعرت بضرورة انشاء كلية للبنات وأخذت تعمل وتهتم لنجازها فانا اقترح على حضرات اعضاء لجنتها أن يكون في هذه

الكلية قسم عملي تتدرب فيه الفتيات على كل ما يلزمهن من أمور الحياة كما هو المتبع في كليات أوروبا واليك مثال منها على ما وصفه أحد نوابغ الاتراك المشتغلين بترقية المرأة التركية قال .

زرت الكلية الكبرى للفتيات في باريس واجتزت غرف التدريس فيها بسرعة الى أمكنة التدريب العملي التي هي في الحقيقة حياة المرأة والواجب الاولي الذي يجب أن يعنى به فكانت أول عبارة وقعت في أذني بهذه الامكنة هي قول المعلمة لتلك الفتيات المتعلمات عزيزاتي ان اتقان صنع القبعات يتطلب انشراح الصدر ثم اخذت تشرح لهن كيفية صنع القبعات وفي يد كل واحدة منهن ابرة في انموذج ثم انتقلت الى غرفة أخرى فرأيت الطالبات وكلهن قد أتممن دروسهن يشتغلن بالتفصيل ودرس أنواع القماش كما رأيت الاقمشة على تباين أنواعها واشكالها والمحل عبارة عن سوق تمثل فيه البنات الباعة والشارين والتفصيل والخياطة وخرجت من هناك الى حيث يدرس الطبخ فرأيت الطالبات فئات هذه تطبخ وتلك تعجن والاخرى تذوق الطبيخ وغيرها تقدر اسعاره وجارتها تحول لونا أمامها الى لون آخر وزميلتها تقدر الاثمان وتبين وجه الاقتصاد وتربيتها تغسل الصحون والاواني وتصفها وقرينتها تنظف الحلل وتجلوها وقس على ما وصفت لك ما لم أصف وقد تركت هذا القسم الى قسم آخر فالفيته خاصاً لتدريس الطالبات التطبيب فهذه تلف الرباطات وتلك تحلها وهذه تشرح كيف ينقل الجريح وتلك تبين

كيف يداوي ثم زرت القسم الاخير فرأيت الطالبات مشتغلات بتربية الاطفال حتى اذا صرن غداً أمهات يكن على بينة من هـذه التربية . وقد عرفت ان الطالبة اذا انتهت من قسم دخلت في الآخر

تلك هي البنات اللاني يربين الامم فهل من صوت يسمع أناسنا هذا التعليم ونساؤنا هذه التربية حتى نصير شعبا رجاله رجال لا ذكور فقط ونساؤه نساء لا أناثى للحبل والولادة . .

(٦) الحجاب واضراره

عاشت المرأة القبطية من اول الخليقة الى عصر الرومان فالعرب حرة بلا نقاب ولا حجاب فكانت يد مصر في تمدنها ومشعلة نار الوطنية في صدور بنيها حتى تمكنت أن تهز تلك الصدور الشماء في زمن الخليفة ابن مروان فهزت عرشه وقلبت ملكه رأسا على عقب . ثم بقيت تنير طريق رجلها وتشاركه في اعماله وتقوي عزيمته على احتمال المصائب والاضطهادات الشداد حتى تولى احمد بن طولون ملك مصر في القرن التاسع وشاءت مشيئته أن تستوى المرأة القبطية مع اختها المسلمة في التحجب فرضيت به صاغرة وحملته طائعة ثم صار لديها عادة كما اصبح اليوم عقيدة في نظر الكثيرين الذين يتصورون حرية المرأة وسفورها من موجبات الخلاعة والفساد

وقد كان للنساء القبطيات في ذلك العهد البائد ـ عهد الخلفاء والمماليك والاتراك ـ زي مخصوص يميزهن عن اخواتهن ويزدهن

تقيداً وعبودية حتى اضطررن في عهود كثيرة وعصور مختلفة الى الاحتجاب في بيوتهن طول الحياة حتى لا يعرضن بكراماتهن لمخاطر التعديات القسريه من الرعاع والفاسدين والظاهر أن تلك العادة قد بقيت الى هذا العصر بدليل وجود سيدات من الاقباط مسجونات في منازلهن لا يخرجن منها الا الى القبر حيث تدفن فيه. ولئن استحسن هذا الدفن الحيوي في ازمنة العبودية والمظالم فقد يستقبح بلا مراء في عصر الحرية والعدالة

وواضح أن تحجب المرأة على هذه الصورة الشنيعة أو على الصورة العادية من الضرر بمكان عظيم وحسبنا منه انه جعل العذارى في بيوتهن أشبه بالاقمشة الموضوعة في مخزن يدخله الشبان ليشتروا منه ما يعجبهم بحسب النوع لا اللون كما جعل الرجل يمتنع عن مصاحبة زوجته الى محال الرياضة ليعطيها الدروس اللازمة ويشرح لها حقيقة كل ما يقع نظرها عليه من المشاهد الطبيعية أو الصناعية أو الأثرية لتطرد من عقلها الخرافات والاوهام وتحل محلها الحقائق. ذلك فضلا من ان وجودها معه في اوقات الراحة والتنزه يمنع طمزحه الى غيرها .

على أن احق الناس باللوم هم اولئك الذين يعتقدون أن التحجب للمرأة القبطية واجب أن لم يكن مشاركة لاختها المسلمة في التقيد فلانها ليست على جمال تستوي به مع المرأة الغربية في الزي وهذا الاعتقاد فاسد وباطل من طبيعته لان المرأة المسلمة من جهة قامت تطالب بحريتها

رغماً عن ثوران الافكار واعتبار الحجاب في نظر ائمة دينها من الامو
الدينية المحضه وثانياً لان فتياتنا يلبسن في صغرهن الملابس الافرنجية
ويخرجن سافرات الوجوه فلو ابقين الى نهاية العمر على هذه الصور
لم يكن هناك ما يدعو الى السخرية بها أو الى عدم مماثلتها
للمرأة الغربية .

زد على ذلك أن الدين المسيحي نهى عن الحجاب وعن تغطية وجه
المرأة بالبرقع وعن لف جسمها بالحبرة أو الازار ليس فقط لان كمالا
اعظم سياج لفضيلتها وواق لعصمتها بل لان المرأة سواء كانت فاضلة
أو شريرة لا يمنعها الحجاب أو السفور عن البقاء في ميولها بل كثيرا
ما يدفع التقيد بالمرأة الخلوع الى استنباط الحيل وارتكاب افظع الجرائم
لاتمام امانيها الفاسده . وقد اسلفت أن المرأة القبطية طبعت على العفة
والطهارة وازيد الآن أن تلك الصفات طبيعة فيها من ازمنة الوثنية
قال العلامة رولنسن الاثري في المجلد الثاني من مؤلفه عن
مصر القديمة .

وهذه الرواية التاريخية تزداد قوة ووضوحا اذا التفتنا الى الصور
الباقية في الهيا كل القديمة وفي الاقوال المنقوشه على اوراق البردي
ومنها اخذ العلامة ولكنسن العبارة الاتية في عرض كلامه على العوائد
المصرية « أن النساء الغريبات اذا اتين الى مصر كن يلتزمن الامتثال
لعادة المصريات بان يخرجن سافرات الوجوه لان السفور كان معدودا

ن ضمن الشرائع المصرية القديمة وعليه وحده يرجع الفضل الأكبر
ي تمدن المصريين ونبوغهم في العلوم والفنون والصنائع والحكمة
الفلسفة » .

وكل هذه الادلة الواضحة براهين جلية على صحة ما ذهبنا اليه من وجوب تحرير المرأة لتربية الامة ورفع نير التعاسة والانحطاط عن عاتق ابنائها . نعم قد يستصعب البعض العثرات التي يجب مقاومتها قبل أن يتيسر تنفيذ هذا التحرير وأول هذه الصعوبات وأهمها ناشيء عن وجوب مراعاة أميال الفئة الجاهلة من الشعب التي تدفعها روح المحافظة على العادات الى كره كل نظام حديث ولكني أقول لكم ان كلمة واحدة من الدار البطريركية الى الشعب تكفي لرفع الحجاب واعادة المرأة الى زيها القديم الذي خلقت له والذي لا خطأ فيه لصوت الكتاب المقدس ولشريعة السيد المسيح .

الحياة الدينية والملية

٦

أصبح الدين في بيوتنا ومعابدنا ومدارسنا كالنواة الملفوظة فان أنت طلبته في الهياكل وبين المذابح وهي بيوت العبادة لا تجد من يعرف من فضائله الا تلك الصلوات التي تلفظها الشفاه عن غير عقيدة ولا ايمان وان انت التمسته من المدارس وهي الآن مسرح الدين ومستقره لا ترى الا اموراً عرضية أو قشوراً تمر بك دون فهم ولا

تبصر وان أنت التمسته في العائلة وجدتها لا تعلم من امره الا كما تعرف من الواجبات المنزلية وبالاختصار فان الدين بيننا يكاد لا يكون له وجود مع ان لدينا من المؤلفات الدالة على فضائله وكمالاته وأدابه وتفسير آياته مما لا نشكو والحمد لله من وراءه عذرا

تلك هي حالتنا الدينية اليوم ولو ذاع عنا في انحاء الارض باننا الشعب الوحيد الذي تعلق بدينه وتمسك بفضائله وحافظ على اصوله الاوليه ونواميسه الاساسية قرونا واجيالا رغما عن يد الظلم التي اوهت عزيمته واعاصير الاضطهادات التي هبت عليه فمزقت شمله . ولم يكن ذلك التعلق الشديد طبعا الا من الاعتقاد الراسخ في الأذهان بان الدين هو الكفيل بسعادة الدارين دار الدنيا ودار الآخرة وهو الذي يرفع النفوس الساقطة الى اوج الكمال وينقلها في لحظة من رتبة الحيوانات الى رتبة الملائكة .

والواقع يشهد أن الدين المسيحي هو وحده الذي علم الانسان مالم يعلم . هو الذي عرفه معنى الحياة الصحيحة . هو الذي اوضح له طريق السعادة بل هو الذي انار ظلمات العالم المتخبط في ليل الهمجية ودياجير التوحش حتى أن كثيرين من الفلاسفة والحكماء وعباد الوهم وممجدي الطبيعة وسجدة الخيال لم يسعهم الا الوقوف معجبين مبهوتين امام عظمة المبادئ الاجتماعية العالية التي وردت في الدين المسيحي

والذي يلقي بنظرة على تاريخ الاقباط يجد انهم بلغوا ارقى درجات

الحضارة والمدنية في العهد الذي كانوا متمسكين فيه بدينهم ومحافظين على حقائقه وعقائده الصحيحة ثم انحطوا وتأخروا في الازمنة التي تجافوا فيها عن الدين وعن التمسك به وعليه يصح القول من أن انحطاطهم الحالي وتخلفهم عن الجري مع تيار الرقى الاجتماعي يرجع في اهم اسبابه الى تقاعسهم عن الاخذ بفضائل الدين وكمالاته أو بالحري يرجع الى جهلهم بقواعده جهلا مطبقا هو في الحقيقة عار عليهم وعلى ذريتهم القادمة ء

والعظة البالغة الكائنة امام عيوننا والتي يمكن أن نتخذها درسا لنا هي تناقص عدد الاقباط الارثوذكس سنة بعد أخرى وتكاثر الاقباط الكاثوليك والبروتستنت تكاثرا سريعاً حتى لم نجد شعباً أفسح صدره عن رحب لاعتناق مذاهب وعقائد أخرى كشعبنا الجهل أئمته . وفي الجدول الآتي ما يدل بأجلى برهان على صحة هذا البيان .

أقباط	سنة ١٨٩٧	المئوية	سنة ١٩١٠	المئوية
ارثوذكس . . .	٥٩٢٣٧٤	٩٧و٢	٦٦٧٠٣٦	٩٤و٤
كاثوليك	٤٦٣٠	٠و٨	١٤٥٧٦	٢و١
بروتستنت . . .	١٢٥٠٧	٢و٠	٢٤٧١٠	٣و٥
المجموع	٦٠٩٥١١	١٠٠	٧٠٦٣٢٢	١٠٠

ولست اقصد من نشر هذا الجدول ان احقر المذاهب الاخرى أو أن

أتعمد اهانة الذين تمسكوا بها لاني من اول القائلين بحرية الناس في ما يعتقدون انما غرضي الوحيد ان انبه من جهة أبناء الشعب الى ما يعتورهم من الضعف والانحلال بتمزيق جامعتهم القومية الى فرق شتى تقاوم بعضها بعضاً مقاومة لا يكون وراءها الا الموت والفناء وأحث من الجهة الاخرى رجال الاكليروس وأئمة الدين علهم يقومون من نومهم العميق ويبذلون الجهد في تعليم الشعب فضائل دينه واسراره وطقوسه التي ترجع لسعادة الانسان في حالتي الانفراد والاجتماع وفي الدنيا والآخرة وبهذا يتممون الواجب المفروض عليهم ويحافظ الشعب على عقائده الاصلية محافظته على ماله وحياته وشرفه وكرامته

الدين في العائلة

كأني بالقاريء يصيح بي كفى لا تذكر هذه الكلمة ولا تقل الدين في العائلة لان الاقباط عن بكرة أبيهم من الرجل الى المرأة الى الطفل الى الجنين في بطن امه لا يعرفون شيئاً سوى انهم خلقوا مسيحيين واما انهم يعرفون لماذا خلقوا هكذا وما هي قواعد دينهم ومن وضع هذا الدين وما هي فضائله وكمالاته فلا يدركون شيئاً .

ولكن خل عنك أيها القارئ وانظر الى ما حولك فماذا ترى ألا ترى ان أول درس يلقن للطفل عند الغربيين واخواننا المسلمين يكون عن علة وجوده ومصدر حياته ألا ترى ان الاولين يعلمونه ان ينطق أولا باسم الجلالة والسماء والخليقة والملائكة والنعيم والمسيح والكنيسة

والفـداء وما شا كل ذلك ويعلمه الثانون ان ينطق بالبسملة والنبي والصحابة والصوم والصلاة والزكاة فلا يكاد يعي ما حوله ويطلق لسانه بالنطق حتى تراه واقفاً في الصباح وفي الظهر وفي المساء بين والديه واخوته باسطاً يديه مصلياً بالكلمات القليلة التي تعلمها بخشوع وشعور تام بان هذا واجب عليه يهتم بتقديسه اهتمامه بالبحث عن طعام يملأ به جوفه فأين هذه التربية العالية من تربية ولدنا الذي نجده من يوم أن يولد الى يوم ان يبلغ مبلغ الرجال لا يقع نظره على اجتماع عائلي للصلاة فلا والده يعني بهذا الغرض ولا امه تفهم شيئاً من هذا القبيل باعتقاد ان الصلاة لاتجوز في غير الكنيسة فيشب وذهنه خال بالطبع من أمر الصلاة وأمر الدين الذي استخف به وظن التمسك به سخافة والتبرؤ منه فخرا له وعلما على فضله وعلمه .

نري العائلة الافرنجية اذا جلست الى المائدة دفعت كلمات الشكر لله على فضله كما نرى العائلة الاسلامية تتلو الفاتحة أما عائلتنا فلا تكتفي بعدم الصلاة بل يمد الولد يده الى الصفحة قبل والديه وكثيراً مايغضب ويلعن وينهر أمه اذا لم تملأ وعاء بطنه طعاما حتى ينتفخ ويتكتظ ويتقيأ

وليس هذا النقص الديني قاصراً على الاطفال بل يشمـل أعضاء الاسرة الراشدين والبالغين أيضاً حتى قلما تجد زوجاً وزوجة يعرفان أن يعبدا الله في بيتهما فان وقع أحدهما أو بعض أفراد البيت في مرض لا يفقهان ان عليهما ديناً لله يؤديانه صوماً أو صلاة أو نحوهما بل يستعيضان

عنهما بالعرافة والتنجيم فتتلوا الوالدة أو عجوز الدار كلمات على رأس المريض أو تضع له حجابا فوق رأسه يكون غالباً نصه :

« يا رغطيط يا رغطيط يا رغطيط لمق فنجل اقسمت عليكم ياخدام هذه الاسماء الروحانية ان تمنعوا الخابط أو الصداع أو الحمى عن (فلانة بنت فلان) أو (فلان ابن فـلان) بحق اهيا شر اهيا ادوناي الرب الصباووت الشداي »

اما اذا توقفت المرأة عن الحبل فتزور المتحف او بعض الاضرحة أو زوايا الاولياء أو كنائس القديسين . وأغرب من هذا اذا حلت كارثة أو توفي واحد فتراهم يتطيرون جداً ويذهبون الى أن الاسبـاب نعيق البومـة فوق البيت او دخول كلب أسـود (غطيس) يوم الوفاة . ولم يقتصروا في التطير والتشاؤم على ما تقدم بل تراهم يتطيرون من نباح الكلاب ومواء القطط ومن الاحلام ومن التوهم بحلول أرواح الموتى في البيت كما يعدون بعض أيام في السنة من أيام البؤس بل كثيراً ما يعطلون سفرهم في يوم من أيام الاسبوع لانه يوم شؤم في عرفهم . وقد يستوى الاقباط مع المسلمين في هذا التطير

وقبل ان ننتقل من هذا الموضوع نلتفت قليلا الى نوع آخر من الخزعبلات وهو الاعتقاد باصابة العين حتى ليتوهموا أن كل ما يصيبهم من الاصراض أو يلحقهم من الشر هو نتيجة تلك العين التي تصيب كل من تقابلها وهو اعتقاد غريب في بابه وكفران مبين بوجود قوة عاملة

في الكون غير القوة الالهية ثم الاعتقاد باليازرجة وهي نوع من السحر الروحاني في عرفهم يطرد الاورواح النجسة من البيوت والاجساد ويوجد التآلف بين الافراد . حتى ان أكثر الذين تراهم يهزأون بالعرافة والتنجيم هم أشد الناس تمسكا بها وانسياقا الى التطير من غيرهم .وكم افنى الاقباط والمسلمون أموالا في هـذا السبيل وكم قضوا على هنائهم حتى أن جـل النساء اذا رأين من أزواجهن تطرفا أو كراهة او نفورا انقدن الى المنجمة والى المغربي الساحر ليكتب لهن أحجبة تزيد تعلق الرجال بهن وتجعلهن مسيطرات عليهم.

على أن غاية مايرى من ظواهر الدين في العائلة أن النساء وربما العجائز منهن فقط يصمن عند ما يكون صوم ويفطرن عند ما يؤذن بالفطر وياليتهن يدركن حكمة الصوم وعلة موضعه وما المقصود به واخص صفات الصائم انهن لا يعرفن شيئاً من ذلك على الاطلاق وانما الصوم عند الاقباط من نساء ورجال اصبح من العوائد المألوفة التي رسخت في نفوسهم ومزجت بطباعهم حتى انهم لو هموا بالاقلاع عنها لما استطاعوا الى ذلك سبيل ودليلا ذلك أن النساء مثلا بينا تراهن يحرصن على هذا الغرض لا يستقبحن أن يكذبن أو يحلفن أو ينطقن بهجر اللفظ وفحش القول ونحو هذا مما هو نقيض الصوم على خط مستقيم .

واذا ما اوضحنا هذه الحالة السيئة نقول انه يجب على المصلحين قبل

كل شيء أن يجعلوا وجهة اصلاحهم جعل الكتاب المقدس رائدهم الوحيد مطالعته واجبة على الكبير والصغير من تلاميذ وتلميذات اباء وامهات كما يجب على رجال الاكليروس أن يزوروا منازل رعيتهم لانارة العقول وانقاذها من بوائق الجهل كما يفعل رعاة الكاثوليك والبروتستنت مع رعاياهم بل كما يفعل كهنة الوثنيين وعبدة الاوثان .

الدين في الكنيسة

المعنا الى أن الدين في العائلة واه واهن ذلك لانه يأخذ مصدره من الكنيسة دون سواها ولا شك في أن الكنيسة أن لم تتغير في الازمنة المختلفة لارتباطها شديد الارتباط بالكتاب المقدس وبالقوانين الكنائسية المتعاقبة عليها من عهد مار مرقس الرسول الى اليوم الا انها تغيرت تغيرا فعليا في أئمتها والقائمين بخدمتها حتى انحطت اخيراً بانحطاطهم وتأخرت بجهلهم .

وقد لا نبالغ اذا قلنا من غير مبالاة انه لا معنى للدين في الكنيسة اذا لم يكن شطرا من العائلة لان قواعد الدين الكنائسي ليست كقواعد العادات التي رآها العالم قد تغيرت تغيرا يذكر في اصولها وامهات مسائلها بل هي قواعد ثابته دائرة على خطة واحدة متماسكة من العهد القديم . ولئن جهل واحد ذلك فما عليه الا أن يوالي حضوره يوميا الى الكنيسة ليرى أن الصلاة لا تغير فيها بل هي فوق ذلك محدودة بحدود لا عكن التصرف فيها وانما جهل الائمة بالواجبات

للمفروضة عليم وعدم فهم الشعب ما يتلى عليه جعل الدين واهنا في البيت وفي الكنيسة .

وليس معني ما تقدم في عدم فهم الشعب القواعد الكنائسية للصلاة انها مضلة وغير صالحة كلا ؛ بل نقول بصراحة انها ثمرة افكار ائمة رجال الدين والرسل وقانون السيد المسيح نفسه وشريعته في كل جيل بل ومظهر الديانة المسيحية في كل عصر. وانما تلاوتها باللغة القبطية افقد المزايا التي كانت تنتظر فيها وجعلت فضائلها خافية على عقول السامعين .

ولقد يعجبني ما قاله الاستاذ بتلر الانكليزي في عرض كلامه على الكنيسة القبطية من أن نظامها يمتاز عن نظام الكنائس الاخرى شرفا وعفة لتجرده عن كل ما يشين ويهين وانها اسمى الكنائس ولو انها وصلت الى درجة من الانحطاط يأسف عليها محبوها . وهذه المجاهرة من اوربي تدلنا على ان منشأ هذا الانحطاط هو ضعف غالب رجال الاكليروس وفتور الشعب في العبادة وتراخيه في اداء المفروض عليه نحو خالقه وما يشاهده من جهل افراده باحوال عقيدتهم وعدم المامهم بشيء عن ترتيب كنيستهم القويمة الرأي وخلوهم من روح التقوى والمحبة المسيحية وما يبصره فيهم من الحرص الزائد والشح الممقوت وقبض ايديهم عن وجوه البر وحبس اموالهم عن مواضع الحسنات والصدقات وما يلاحظه على اولادهم واحداثهم من

مطاوعة الشهوات واتمام الرغائب الفاسدة والجري مع التقليد الاعمى والتعرض لتأثيرات المدنية الكاذبة وكل هذا اصاب الاقباط وعاد عليهم باقبح النتائج

هذا وقد مضى على الكنيسة القبطية ١٧ قرنا وبعد غلبة المسلمين واختلاط المصري بالعربي الناتج عنها اخذ التهذيب المصري والعوائد المصرية تمتد الى العالم العربي كما كانت اللغة القبطية بالغة من الاشتهار واتساع نطاق الانتشار مبلغ اللغة العربية اليوم حتى أن التكلم بها كان عاما ثم الغيت من دواوين الحكومة وبقيت قاصرة فقط على الكنائس وعلى الاقباط المسيحيين ثم اخذت في التلاشي شيئاً فشيئاً حتى لا اغالي اذا قلت ان عدد عارفيها لا يزيد عن الخمسمائة كلهم اكليروس وشمامسة . ومن الامور البديهة انه اذا كانت الصلاة بلغة لا يفهمها المصلون لا يكون منها فائدة مطلقا ومع ذلك فهذه هي الحالة في كنائسنا التي نذهب اليها فلا نسمع منها الا الالفاظ والتراتيل القبطية التي لانفهمها . نعم يقرأ فيها بعض فصول من الانجيل باللغة العربية ولكن الحق يقال أن الاحسن عدم صرف الوقت في قراءتها لانها محض مطالعة لا يسمعها ولا يفهمها كثير من الموجودين . ومن الذي يقرأ في الغالب صبي حديث السن أو رجل يحرف الالفاظ ولا يدري لها معنى . فمن الواجب والحالة هذه صرف الوقت في القاء المواعظ الادبية والتعليمات الروحية بلغتنا العربية التي لا نفهم غيرها .

ثم يقولون اننا نحن الجانون على انفسنا اذ قصرنا في تعلم اللغة القبطية فنرد عليهم بقولنا ان تعليمها لجميع أفراد الامة غير ميسور الآن بدليل ان نفس الذين يدرسون العلوم واللغات تقضي عليهم أحوالهم المعيشية بعدم الالتفات الى اللغة القبطية لكثرة اشغالهم وضيق اوقاتهم فمابالهم بهذه الآلاف المؤلفة من الفلاحين وعامة الامة وكيف يستطعون ادراكها. على أننا مهما أتعبنا أنفسنا في تعلمها لا يمكننا أن نتقنها أكثر من لغة آبائنا وأجدادنا . ومن البين ان هذه الاسباب هي وحدها التي حملت الكثيرين على التعاليم الغريبة فانشقوا عن الكنيسة وأزدروا طقوسها وترتيباتها وظنوها طلاء كاذبا سريع الزوال حتى ان كل ما نراه من الغيرة على صيانة حياة الامة من الانشقاق عن كنيستها لا يأتي بالفائدة المطلوبة ما دام الكهنة يلقون صلواتهم على أفراد ليس فيهم من يدري أو يفهم معنى ما يقولون .

والخلاصة ان الحالة الدينية في الكنيسة موجبة لليأس حقيقة ولكن الذنب ليس على الامة التي تحاول ان تنهض لتعرف طقوس دينها فلا تجد عضداً يعضدها بل الذنب كل الذنب على الكهنة الذين جعلوا الدين طلاسم لا تنفذ منها اشعة من الضوء لانارة القلوب والافهام

الدين في المدرسة

ان رأي الاستاذ الفونس اسكيروس في تعليم الدين في المدارس مخالف لرأيه في التعليم العملي على خط مستقيم حيث ذهب الى ان في

التعليم الديني أسراراً يتعاصى على عقل الانسان اكتناهها واعمالا وعادات لبس في مقدور احد من الناس تفسير شيء منها واحكاما لا تقبل العرض على محك النظر بل تقيد بقوة الادراك الى الابد فلا تجد سبيلاً الى الجولان فيها. وهو مذهب لا يصح التعويل عليه أو الاخذ به لانه يفقد الغاية من تقويم الاخلاق ويزيد بنية الهيئة الاجتماعية اغراقا في الالحاد والكفران ومع ذلك فقد عاد فدحض رأيه هذا بقوله « الانجيل كله مواعظ رائقة وامثال شائقة فليت شعري من ذا الذي لا يراعيها »

أما رأي روسو في تعليم الدين بالمدارس فكرأيه في تعليم الاشياء الاخرى أي أن يكون بالاستقراء والاستنتاج لا بالتلقين والاستتباع وعن طريق القلب واللسان ويعنى بهذا الاستقراء أن التأمل في الوجود بعين الفكر ودراسة طبائع المخلوقات يبلغان بالطالب الى معرفة الخالق عز وجل وقد أيده الكثيرون في رأيه هذا وضربوا له عدة أمثلة أذكر منها أن الطفل اذا رأى القمح لا ينبت الا اذا بذرت الناس حبوبه يعلم كذلك أن الانسان لم يخلق الا بواسطة قوة عظيمة هي الاله سبحانه وتعالى ومع ذلك فقد دحض هذه الآراء لفيف من العلماء والمفكرين وبينهم راسين العالم المشهور حيث أثبت أن تلقين الدين للاطفال يساعدهم كثيراً على اجتياز متاعب الحياة ويرسخ في نفوسهم وصايا الله فتنزع من قلوبهم تلك الخاسات الفاسدة التي تعكر مياه الحياة .

وقال العلامة شلمن الانكليزي اذا كان قلب الرجل يهتز لسماع

بعض المواعظ الانجيلية فكيف بقلب الطفل وانك لن تجد مقوما للاطفال والتلاميذ في غير كتاب المسيح فيجب أن يكون أول الدروس التي تلقن لهم حتى ينمى في نفوسهم الاخلاق الكريمة

على أن مجرد البحث في طريقة التعليم الديني في المدارس لا توصل الى الغرض المقصود ان لم يكن المعلمون من اللاهوتيين المشهود لهم بطول الباع وسعة الاطلاع ليتمكنوا من تركيز العقيدة في نفوس الطلبة . اما والحال اليوم على ما نراه من تعيين افراد لا المام لهم به فمحال أن يأتي تدريسهم له بفائدة ما .

هذه مسألة يقف الانسان امامها حائرا مرتبكا ولا يعرف ان كانت الصحف التي حملت على الحكومة تلك الحملة الشعواء حتى فازت بامنيتها في تدريس الدين المسيحي بجانب الدين الاسلامي ستتمكن من الفوز كذلك في جعل مدرسيه من ائمته ورجاله ام تقف على الحياد مكتفية بما حصل ولو كان عديم الجدوى والنفع

ومن اللغو تخفيف امر التدريس الديني الى هذا الحد لان كثيرا من المدرسين يرتكنون على المؤلفات الغريبة في تعليم الطلبة وهذه تخالف القواعد الدينية التي نسير عليها . وانشقاق الافراد الذين تعلموا في المدرس الانجيلية والكاثوليكية من كنيستنا يدلنا على درجة انتقاش تعاليمها في اذهانهم

ولا اظن الصحف والامة تجهل الاسباب التي قدمناها وفي وسعها من

اليوم أن تبحث هذه المسألة بحثا مستفيضا حتى تصون ابناءها من مروعات العقائد الغريبة وتنشئهم رجالا كملة مهذبين محافظين على حقائق دينهم وعقيدتهم الاصلية .

واختم هذه الكلمة بوصية روسو للمدارس قال ان فلسفة المتغطرس من الاساتذة تفضي بالطلبة الى الزندقة والشك في كل شيء كما أن تعليم الجاهل باصول الدين يورث التعصب للطلبة فيجب أن تجتنب المدارس امثالهما حتى لا يشب التلاميذ على اخلاق تناقض فضائل الدين . ثم اوصى المتعلمين بقوله تمسك ايها الطالب بالحق أو بما يوحي اليك قلبك الطاهر لنه حق تمسكا لا يثنيك عنه ضعف الارادة أو مجد الدنيا العاطل ولا يقعدك الجبن عن الاعتراف بوجود الخالق في مجالس المعطلين وحض قومك ونفسك على التسامح وحب بني الانسان على اختلاف الملل والنحل واعلم أن واجبك في هذه الحياة الدنيا قول الحق وعمل الصالحات فاذا قمت به فزت بالسعادة ونلت الرحمة والرضوان .

اداب الصلاة

اذا سخر الغربيون بآدابنا في المجتمعات العامة فيحق لهم الف مرة أن يحقروا تلك الآداب الساقطة التي نمثلها في معابد الله وأديرته. فقد جعلناها أشبه بالاسواق والمنازه لانهرع اليها الا ليقابل بعضنا بعضاً أو ليقص أحدنا على الآخر أحاديثه او لنسخر بالكهنة

والطقوس الدينيـة فوق ما يحصل في المواسم من ضوضاء الشبان وضجيج النساء وصياح الاولاد وبكائهم حتى يضطر بعض الكهنة الى تعطيل الصلاة ريثما يطمئن الحاضرون الى الهدو ويضطر البعض الآخر الى شتمهم وسبهم ليخلدوا الى السكينة وناهيك ما يحصل في الاديرة وموالد الشهداء من التشويش والضجة الهائلة وارتشاف الخمور وتمايل السكارى وزغردة النساء. فاين ياقوم هذا الهرج من السكون السائد في معابد الافرنج ومساجـد المسلمين وهيا كل الوثنيين . ان المعابد وجدت للصلاة . وجدت لطلب الرحمة من الله ليعفو عن الهفوات والزلات وجدت ليدخلها الانسان خاشعا عابدا طاهر القلب والجسد. ان الواحد منكم اذا دخل على رئيسه وهو انسان يماثله صورة وشكلا وقف امامـه صاغراً فما بالكم وأنتم تدخلون بيت الله وهو سـيد أسياد هـذا الرئيس وخالقـه لا تقومون له بذرة من الاحـترام والتكريم.

أنا لا أقول لكم اخشوا يوم العقاب بل أقول لكم فقط احترموا أمتكم وانفسكم امام الغير الناظر اليكم الساخر بكم الضاحك من سقوط ادابكم . اظهروا ولو مرة في حيـاتكم انكم خليقون بالانسانيـة التي انتم منها . ان الوثنيين خـير منكم لانهم يعبـدون آلهتهم بكل خشوع واحترام أما أنتم فـلا تقتصرون فقط على عدم عبادة الهكم العظيم بل تحقرونه في بيته الذي تليق به القداسة

وأي انسان له من العقل زاجر ولا تأخذه الغيرة على ردع أخيه عن
اقتراف مايغضب الله سبحانه وتعالى في بيته أيليق أن تكون هذه
البيوت الطاهرة مجامع صفاء ومعاقرة خمور وأندية لهو وهل من
اخلاص النصيحة للاقباط أن يحضر رجال الدين وأئمته هذه المحافل
ويشاركوا الافراد في هواهم بين مأكل ومشرب وصفو وطرب
ولاينهوهم عما يرتكبون . اليس من المقرر في كتب الدين وشريعة
المسيح أن هذا كله منهي عنه أوليس الاحرى بهم أن يصلحوا ما افسده
يد الايام وان ينصحوا الامة بالاجتهاد في نبذ هذه العادات والمنكرات
في المواسم والاعياد وان يعلموها أداب الصلاة في الكنائس وفي كل
مكان ليبعثوا في نفوسها صفاء دونه هذا الصفاء ويجعلوا قلوبها
حاضرة الاحساس فلا تخرج من الكنيسة الا وقد امتلأت بنور
اليقين والاخلاص فتصير كاملة طاهرة قوية لا تنقاد للشهوات ولا تنزع
الا الى الخير ولا تركن الا الى الفضيلة

الوعظ والوعاظ

ان أهم مسألة حيوية يجب ان تشغل امتنا المحوطة من كل جانب
بشعوب شتى تسعى في تمزيقها وتشتيتها واخراجها من عقيدتها هي بلا
جدال مسألة الوعظ والارشاد لانها القوة الروحية العالية التي تنفذ الى
النفوس والقلوب فتنقذها من مهاوي السقوط في أودية المفاسد
والشرور .

ولا شك ان تسود الكاثوليك والبروتستنت علينا معشر الاقباط الارثذوكس ليس بقوة المال أو العلم بل بقوة الوعظ ورقي المرشدين الذين بثوا التربية الدينية الفضلى في ابنائهم وعرفوا كيف يثبتونهم في دينهم ثبوتاً لا تزعزعه التعاليم الاخرى المخالفة لمبادئهم وعقائدهم . وما وصلت قوة المرشدين الدينيين الى هذا الحد الا لان الواعظ الذي يعظ الناس بآيات الله وكتابه المقدس انما هو صوت الله وروحه وقد قال تعالى « لستم انتم المتكلمين لكن روح ابيكم هو يتكلم فيكم» مت ١٠:١٢ بل الواعظ هو بوق الله الذي يصرخ به في الناس لينبههم الى الفضيلة ويدعوهم الى الحياة بل هو فم الله الذي يلقي منه مبادءه العالية على بني آدم ليرفعهم الى ذروة الطهارة وقمة الكمال وقد قال تعالى «ان ميزت الجيد من الرديء كنت مثل فمي» ار ١٥ : ١٩ . وحقا كما أن اللسان وسيلة الانسان للنطق والحواس للشعور كذلك الواعظ وسيلة الله سبحانه وتعالى لخلاص النفوس من أسر الخطايا والذنوب ومحو عواطف الشر من قلوب الاشرار ليحيي مكانها عاطفة الخير والصلاح وهذا بولس الرسول يقول نحن انصار الله كو ٣ : ٩ فقوة الوعظ والحالة هذه تفوق كل عمل آخر في بيعة الله ليس فقط لانها الطريق الوحيد الموصل الى اكتساب الفضائل الالهية وكرامة الابدية بل لانها تحمي الشعب من هجمات أعداء بيعة الله وتقف امامهم مناضلا قويا

واذا نظرنا الى أعمال الرسل والشهداء نرى انه لولا الوعظ

لما انتشرت المسيحية ولما كان المؤمن مؤمناً والشهيد شهيدا بل لولاه لما كان الخاطيء تائبا والبخيل محسنا والخامل مجدا والجاهل عالما

واذا ما اتضح من وجيز الكلام الذي قدمناه ان الواعظ امين المسيح ورسوله على هذه الارض فبأي حق ام باية شريعة تهمله كنائسنا التى هي محط الدين ومقره ولماذا تحسبه من سقط المتاع بل لماذا لاتختار لهذه الوظيفة السامية من هم كفؤ لها حتى لا يهبطوا بها الى احط الدرجات وحتى لا يميتوا العواطف الخيرية في نفوس الامة

ان من العار العظيم ان ينحط الوعظ بيننا الى هذه المكانة التي لا يرضاها لنا العدو بل ومن الاثم والكفر ان تخلو كنائسنا من وعاظ راقين في العلوم الدينية واللاهوتية والاخلاقية ليستطيعوا بقوتهم جذب النفوس الى مكارم الاخلاق واخراجها من الظلمة الى النور ومن التعاسة الى السعادة

ويا طالما رأي أئمة ديننا ابناءهم يتركون كنائسهم خالية خاوية على عروشها ويذهبون الي كنائس أخرى لسماع الوعظ والتبشير او الانتماء اليها ولكنهم لا يحركون جانبا وان دبت في بعضهم الغيرة الملية القى عظة أو خطبة تزهق النفوس لما اشتملت عليه من المعاني الغريبة التي تحيل الصفات الحميدة الى اضدادها ثم يكررها في كل يوم حتى تصير مألوفة ويبطل مفعولها بتجريدها من قوتها الاصلية الرادعة. على ان في الدين من الايات المهذبة للنفوس المرقية للعواطف المثقفة

للعقول ما يكفي لان يزيل كل امراضنا الاجتماعية والجسدية ويجعلنا أمة صالحة للعمل وللحياة

نعم ان بيننا ثلاثة أو اربعة من الوعاظ المشهود لهم بالفضل ولكن هؤلاء لو حلت فيهم الروح ونزل عليهم الوحي لما استطاعوا أن يعظوا مليونًا من النفوس متفرقا في الوف من البلاد والقرى فيجب على الامة اذا أرادت المحافظة على عقيدتها ان تتضافر على تحسين حالة الوعظ والوعاظ بترقية مدارسهم وتنظيمها حتى تخرج لنا مئات من المرشدين يردون المنشقين الى كنيستهم ويؤهلون الباقين الى صيانة عقيدتهم التي وقتهم من العبث كل هذه القرون والاجيال

الاكليروس

اذا قالوا ان الاكليروس هم حفاظ الشريعة ورؤساء الكنيسة وأئمتها الذين يؤخذ عنهم العلم مشفوعا بالنصائح مقرونًا بالشعائر الدينية فأنا أقول لكم انهم أصبحوا في جيلنا الحاضر على خلاف ما تعتقدون حيث وضع غالبهم الدرهم والدينار موضع الاله وأنفسهم موضع الملائكة. وقوانينهم مكان الكتب المقدسة وكلمتهم منزلة الرسل. تلك هي قواعدهم أخذتها من كتاب اعمالهم فلا يستطيعون جحودها ولا يستطيع أحد مكابرتي فيها لانها ناطقة بأفصح لسان انهم ماديون في كل شيء في العمل والحياة. في الدين والكنيسة. في الدير والصلاة

وواضح ان رجال هذا الفريق الغالب وكثير ما هم يتصرفون

تصرفاً شائناً لا يتصرفه الامى من العامة ويتحكمون في تقاضي الرسوم الخاصة بالصلاة على الموتى أو المتعلقة بعقد الزيجة بعد أن جعلوها درجات يأباها الدين وتنفر منها شريعة السيد المسيح. ولقد تجدن أعفهم وأتقاهم يهرع الى منزل المتوفي أو المتزوج أو المريض من الاغنياء بلا دعوة ولا التماس لان ماله شفيع لديهم مكبر لمقامه في عيونهم . أما ذلك الفقير المسكين الذى يامر رب الشريعه بمواساته فهيهات هيهات أن ينزلوا عن عرش ملكوتهم الارضي ليصلوا على جثته أو ليعقدوا اكليله أو ليزوروه في أوقات همه وكروبه ان لم يقدم لهم الرسوم والهدايا التي يطلبونها مقدما وقبل أن يلجوا عتبة بيته وكثيرا ما يتوقفون عن الصلاة واقامة القداديس ويضطرون أهل المتوفي او المتزوج الى الاقتراض لسد نهمتهم ان لم يدفعوهم وهو الغالب الى ترك عقيدتهم الاصليه واعتناق المذاهب الاخرى التي يتولى خدمتها أئمة أتقياء لا يميزون غنياً على فقير ولا يفضلون بين الكبير والصغير لئلا يخالفوا مبدأ وظائفهم وشرف مهنتهم ويدعوا الناس الى الحط من كرامتهم والله الى التنكيل بهم وقد قال تعالى « الرعاة الذين يبطلون كلمة الله ويسيئون الى قطيع المسيح لا بد أن يروا أنفسهم هدفا لوعيده مت ١٨ : ٦»

ورغماً من شكوى الشعب المستمرة من بعض رجال الاكليروس لم نر من رؤسائهم ما يردعهم عن تصرفهم وتحكمهم مع ان الرسول بولس يوصي تيموثاوس أن يوجب اجراء التأديب بين رجال الاكليروس

اثى ٥ : ١ و١٩ و٢٠ و٦ : و٣ و١٥ . وهذه الاية واضحة كل الوضوح فلا حاجة الى شرحها أو تقديم البرهان عليها

نعم انهم يبررون أنفسهم عند تحكمهم في تقاضي الرسوم أو عند مخالفتهم لمبادىء الشريعة والدين بأنهم لا يتقاضون رواتب تقوم بحاجياتهم الحيوية ولكن هل الشعب هو الملوم على عدم تعيين تلك الرواتب اللهم كلا ؛ ان الملوم هم أولئك الرؤساء الذين يعيشون عيشة الترف والنعيم ويبذلون الاموال في غير السبل التي وضعت لها ويضنون على أخوانهم الكهنة بشيء مما يتنعمون حتى يضطروهم الى تثقيل أعناق الشعب المسكين بالمطالب غير الشرعية والى مخالفة واجباتهم الكهنوتية مخالفة تستوجب غضب الله وقد قال تسبحانه وتعالى في الاصحاح ٢٤ من سفر حزقيال « ويل لرعاة اسرائيل الذين كانوا يرعون أنفسهم . ألا يرعى الرعاة الغنم . تأكلون الشحم وتلبسون الصوف وتذبحون السمين ولا ترعون الغنم . المريض لا تقووه والمجروح لم تعصبوه والمكسور لم تجبروه والمطرود لم تستردوه والضال لم تطلبوه بل بشدة وعنف تسلطتم عليهم فتشتت بلا راع وصارت مأكلا لجميع وحوش الحقل وتشتتت »

وان هذه الاقوال الالهية وغيرها مما تملأ صفحات الانجيل لصوت يصم آذان اولئك الرعاة ويثير عواطفهم في صدورهم ويعلمهم انهم يجنون على أنفسهم وعلى أمتهم وعلى دينهم وعلى الله

وليس هذا فقط خطأهم العظيم بل جعلوا وظيفتهم ارثية في عيالهم فلا يكاد قس يموت حتى يتقلد ولده رتبته ويتسيطر على الكنيسة والشعب وهو جاهل بفروض الدين جهلا يدفعه الى انتهاك حرمة واجباته المقدسة وشرف مقامه فيشتت أبناء الرعية ويقضي على جامعتهم في لحظة وسلوا أبناء القرى والبلاد فكم عانوا من أمثال أولئك الكهنة وكم نالهم من الويلات بسببهم وسبب جشعهم وتمييزهم بين الغني والفقير واهانتهم لليتيم والارملة والشيخ حتى أزمنت العلة وفاز الدرهم وساد وتغلب في الالوهية على الخالق

وأنا لا اسلم قطعياً بأن للقس رسوما أو احسانات يجب أن يتناولها من الشعب وخصوصا من الفقراء لان المسيح انما جاء ليعلن للناس شرف صغارهم وسمو المستضعفين منهم ووجوب تكريم الفقير والارملة والبائسين فهل قام سادتنا الآباء بشيء من تعاليمه وهم رسله ووكلاؤه كلا كلا !

قال لهم « من سل سيف البغي قتل به » فهل ردعت هذه الكلمات من بيدهم قضايا الاحوال الشخصية منهم عن انتهاك حرمة القانون ونصرة الظالم على المظلوم . أقول أيضاً كلا:

قال لهم «من أخذ قميصك فأعطه رداءك» فهل أحد منهم اتبع هذا الامر وجرى على نصوصه خصوصا في مسائل الوراثة وغيرها : كلا ؟

قال لهم « اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله » فهل رأيت الفقراء

واليتامى والمحتاجين قد نالوا شيئا مما لهم ومن ريع ما أوقف عليهم من العقار والاراضي ؟ كلا كلا ؟

قال لهم « وأما أنتم فلا تدعوا سيدي لان معلمكم واحد هو المسيح وأنتم جميع اخوة » فهل هدم هذا القول من أنفسهم دعائم الاستعباد وأبعدهم عن التسلط . كلا ؟ وليت شعري أني للشعب أن يأخذ بزمام عزيمته الى الخير وأن تترقى شعوره الى الكمال اذا كان جل رعاته ممن يخالفون النواميس الدينية ويغالطون في فهم نصوصها تخلصا من قضائها عليهم وفرارا من عواقب الاخذ بصريحها

واني وان كنت اجل السادة الاباء عن لزوم تعريفهم بواجباتهم واجل العف الصالح منهم جزاء تقواهم وورعهم الا اني أرى الامة مفتقرة شديد الافتقار الي أئمة دينيين متعلمين صالحين يكونون مثالا حسنا يقتدي بهم في الكمالات والفضائل ومؤمنين ايمانا صحيحا ليكونوا مخلصين في تأدية الخدمة الكهنوتية وذوي قدرة على رعاية الشعب ووعظه . وهذا لا يكون الا اذا ابطلت الوراثة الكهنوتية ونظمت المدارس الاكليركية في المدن والاديرة وادخلت اليها العلوم الحديثة لتخرج لنا أئمة يعملون بمقتضى شريعة الله ويعيشون بموجب القوانين الكنائسية لاجراء الحق والعدل بين الناس

*
* *

وعلى ذكر الاكليروس ننشر الجدول الآتي بعدد الكنائس

والكهنة والاديرة الموجودة في أنحاء القطر

أسماء الجهـــات	عدد الكنائس	عدد الاديرة	عدد الكهنة
القاهرة	٢٣	١١	٣٤
الاسكندرية	٢	٠٠	٢
الوجه البحري	١١٤	٤	١٥٢
الوجه القبلي	٣٣١	٧٥	٧٣٢
المجموع	٤٧٠	٩١	٩٢٠

الرهبنة والاديرة

ان منبت الرهبنة في الكنيسة القبطية يرجع الى القرن الثالث للميلاد حيث ظهر مار انطونيوس ومار آمون اللذان كانا على جانب عظيم من الغيرة الدينية والتقى والورع وانكار اللذات . وقد لقب اولهما بمشترع الرهبنة رابي الرهبان لانه رسم لهم طريقة مخصوصة من العيشة تحت قوانين نظامية . وبعد أن تأيدت مبادئه في نفوس الكثيرين أسس باخوميوس احد تلاميذه ديرا في سنة ٤٣٠ ميلادية وهو أول دير بني بين المسيحيين جميعاً وكان اشبه بجامعة كبرى حيث كان عدد رهبانه ٧٣٠٠ شخص ومن ثم امتدت الرهبنة الى فلسطين فسوريا بواسطة ابلاريون احد تلاميذ انطونيوس ومنها وصلت الى رومية والكنائس الغربية .

اما مارآمون فقد انصرف الى وادي النطرون مع كثيرين من اصحاب الميل الى الانفراد والتبتل وبينهم مكاريوس الشهير وأخذ يعظ بينهم وبين رعاة القطعان ولم يمض على هذه الحال ٨٠ حولا حتى اصبح هذا الوادي يحتوي على ٥٠ ديرا أو تزيد كما ذكر روفينوس المؤرخ

قال الله تعالى ومن لم يطق العزوبة فليتزوج وهو قول حق واضح فان من راجع المؤلفات الطبية وتواريخ المتبتلين القدماء عرف فعلا صعوبة الرهبنه التي يستسهلها الكثيرون اليوم خصوصا اولئك الذين تضيق بهم فسحة العيش فيزجون بانفسهم فيها عن غير ترو كما يقبلهم رؤساء الاديرة غالبا بلا بحث في اخلاقهم ولا في اسباب تبتلهم . وان هذه الاباحة المطلقة جعلت جل رهباننا من الذين لم تصادفهم قدرة على العمل أو استعدادا للكدح فاستسلموا للتواكل واعتقدوا أن الانفراد عن الدنيا وعن الجد والاجتهاد خير وابقى . ولكن ليس هذا الانفراد والتواكل هما الدين الحقيقي المطلوب من الراهب بدليل أن الكسول ليس تقيا وقد امرنا الله أن نتعب ونعمل وهذه اول كلماته تعالى الى آدم « بعرق جبينك تاكل خبزك »

ثم ان فم الذهب يقاوم صريحا الزعم بان الاكليروس ملزمون على نوع خصوصي بحفظ البتولية وكذلك اكليمنضس الاسكندري حتى أن اكثر المجامع حتمت اخراج كل اكليريكي يعتزل عن الزواج من وظيفته الا مجمع القسطنطينية الذي عقد في سنة ٦٩٣ وحضر فيه

بطاركة الشرق واكثر من ٢٠٠ اسقف من الكنائس الشرقية فقد اذن للكهنة بالزواج ومنع الاساقفة والمطارنة ولكن اقوال الانجيل تخالف قرارهذا المجمع فقد قال بولس الرسول يجب أن يكن الإسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة اتى ٤ : ٣ وقال في مكان آخر.ان كان بلا لوم بعل امرأة واحدة تي ١ : ٦ وقال الله تعالى ليكن الزواج مكرما عند كل واحد عب ١٣ : ٤ فليت شعري كيف استطاعوا مع وجود هذه النصوص الصريحة الواضحة أن يحكموا على الاساقفة والمطارنة بعدم الزواج ويلزموهم بذلك الزاما اجباريا في حين أن التبتل متى كان اضطراريا كان مصدرا ينبع منه شرور كثيرة لا تعد ولا تحصى

نعم ان بعضهم يذهب الى أن بلوغ الفضيلة لا يتأتى الا بالنسك والعباده والزهد في الشؤون الحيوية وحفظ النفس من الادناس بالعزلة عن الناس وهجر مجالسهم ومجتمعاتهم لانها محط الرذيلة ومقر الشرور غير أن جماعة المفكرين ذهبوا الى أن الايمان وحده لا يبرر الانسان وان المكارم لا تكتسب بسكني الصوامع وان فضيلة الخير ليست بالامر الشارد في البيد وبلاقع الارض ولكنها تقيم حيث تكون مجتمعات الانسان ولا سبيل اليها الا الخلطة ولا مظهر لها الا المعاملة والمحبة خاصة التي هي وحدها الدعامة التي تشيد فوقها هذه الفضيلة وقد قال بولس الرسول في رسالته الى اهل كورنثوس مقر الفلسفة الافلاطونية الجديدة في ذلك العهد « أن كنت اتكلم بالسنة الناس والملائكة

ولكن ليس لي محبة فقد صرت نحاسا يطن أو صنجا يرن وان كانت لي نبوة واعلم جميع الاسرار وكل علم وان كان لي كل الايمان حتى انقل الجبال وليس لي محبة فلست شيئاً وان اطعمت كل اموالي وان سلمت جسدي حتى احترق ولكن ليس لي محبة فلا انتفع بشيء . المحبة تتأنى وترفق . المحبة لا تحسد المحبة لا تتفاخر ولا تنفخ ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحقد ولا تظن السوء ولا تفرح بالاثم بل تفرح بالحق وتحتمل كل شيء وتصدق كل شيء وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء»

والقائل يقول ان انماء هذه العاطفة في النفس ليست بالامر الهين لاسيما في مجتمع بشرى اختلفت فيه الغايات وبسطت الاثرة عليه جناحيها فجوابا على ذلك تقول أن الطفل أو اليافع اذا غرست في نفسه فضائل الدين وتدرب على الفضيلة وقام في نفسه حب النوع ومال الى الاحسان نمت فيه ملكة الفضيلة كلما أولى غيره احسانا واسداه معروفا وقد قال روسو «كما أن الانسان لا يكون صادقا الا اذا اعتاد منطقه قول الحق ولسانه الاخبار بالواقع ولا جواداً كريماً الا اذا مارس البذل والعطاء فكذلك لا يكون الانسان صالحا الا اذا عمل الصالحات فالعمل هو المشيد لجميع الاخلاق والملكات وهو الذي يصوغ الطبائع في القوالب التي تظهر صورها للناس وعليه يجب أن يكون الانسان الراقي في وسط الناس ليقوم بالواجب عليه نحوهم» وقال أكليمنضس الاسكندري ان الذين طرحوا خيراتهم الدنيويه عنهم كانوا مملوئين عجبا وتكبراً واحتقاراً

للاخرين » فكيف بعد ذلك تنمو في نفوسهم فضيلة حب الخير وحب الاحسان وحب النوع الانساني ؟؟

أما من جهة ان كثيرين من المعتزلين أدركوا أسمى شهرة ونالوا أعظم مجد ونبغ منهم العالم والحكيم والطبيب والفيلسوف، والمتشرع والمحسن فذلك لانهم كانوا أكثر ارتباطاً وأحكم اتصالا بالشعب حتى انهم كانوا يخرجون من أديرتهم في أوقات الاضطهاد وأزمنة الظلم ويختلطون بالناس لتخفيف متاعبهم وتثبيتهم في عقيدتهم علما منهم ان الغرض من التبتل تحويل ثمرة سعيهم للخدمة العمومية دون خصوصيات أنفسهم أما اليوم فقد قضت الرهبنة على ناذريها وطلابها بالعزلة التامة عن الناس فضلا عن تضييع أوقاتهم بما لا يفيد ولا ينفع مما أوجد فيهم محبة الذات الى درجة أصبحت الامة معها تئن من سلطتهم وسيطرتهم . وقد لا أقصد شخصاً معيناً بالذات بل أقول عن الجميع وكلهم ليسوا على شيء من العلم وان كانت تقضي حياتهم بالتعبد والتقشف .

ولئن ثبت من أقوالي الميل لمحو الرهبنة فهذا الميل وحده قد لا يتم الا باصلاح الاديره وجعلها مدارس لاهوتية كبرى يتخرج منها رجال الاكليروس اللازمين للكنائس . وهذا الاصلاح لا يستدعي تعباً ولا يتطلب مالا انما فقط يستوجب تنفيذ القانون الذي وضعه نيافة الانبا يوأنس مطران الاسكندرية لمدرسة الثغر التي أسسها في سنة

١٨٩٩ ومؤداه(١)

أولا — يجب أن يكون الراهب معروفا بالادب والتعقل والوجاهة وأن لا يزيد عمره عن ٣٠ عاما ولا ينقص عن ٢٥

ثانياً — جعل التدريس شاملا للغات (القبطية) والعربية والانكليزية وعلم الدين والفلسفة بفروعها واللاهوت الرعوي ونظام الكنيسة وعلم التفاسير والخطابة والتاريخ المقدس والتاريخ الكنائسي والتاريخ العام المصري مع ملخص تواريخ الامم الحديثة والقديمة والجغرافيا والحساب والالحان الكنائسية وشرائعها المتعلقة بالاحوال الشخصية وعلم الميراث والخطوط مع انشاء مكتبة للرهبان يقضون فيها أوقات عطلتهم

ولا ريب ان قانونا كهذا لو اتبع في الاديرة كما هو لرفع شأن الرهبان ورجال الاكليروس والوعاظ ولاعاد الى الامة مجدها الزائل والى الاديرة عمرانها القديم. ولكن اين القول من العمل ؟؟

عدد الرهبان

ليس غرضي هنا أن أشرح الاضرار التي الحقها تناقص عدد الرهبان السريع من الاديرة سنة بعد أخرى كما يستدل من الجدول الآتي ولا أريد أن أصف علاجها بعد أن قلت أن علاجها الوحيد الناجح هو جعلها مدارس لاهوتية وانما أردت أن أطبق تلك القاعدة المطردة قاعدة «التناقص السريع» على ما ذهبت اليه من انها أصبحت فقط تكايا

(١) اضبحت هذه المدرسة اسما على غير مسمى

للكسالى والمعطلين لا معاهد لتنوير الاذهان وتطهير القلوب من الادران

ويسرني اعتبار هذا التناقص الى درجة التلاشي والانقراض خيراً محضاً لاني لا أكاد أصدق ان أديرة ينتج منها كل انحطاط وجمود يبقى فيها متسع لشيء من الخير ولا أحسب ان في ما أجمع الناس على انه خير محض عملا نستطيع أن نجني منه فوق ما سنجنيه من خلو هذه الاديرة .

وهكذا سيأتي بعد عدة أجيال مؤرخ منصف يقول « ان الاديرة القبطية خلت في أوائل القرن العشرين من سكانها وأغنت الامة عن كثير مما كان يعوزها من مساعي أبنائها ونصائح أصدقائها في تخليصها من ذلك الرسن الذي كانت تقتاد به الى الدمار »

أسماء الاديرة	سنة ١٨٧٠	سنة ١٨٩٠	سنة ١٩٠٠	سنة ١٩١٠
انبا انطونيوس	٢٠٠	٢٣٠	١١٠	٣٨
البراموس	٢٣١	١٥٩	٨٨	٢١
السريان	١١٠	٩٥	٣٣	١٨
أبو مقار	٨١	١١٥	٥٠	٢١
انبا بشاي	٤٥	٣٠	٢٢	١٦
انبا بولا	١٥٠	٥٠	٤٥	٤
المحرق	١٩٠	١٠٣	٨٥	٣٥
المجموع	١٠٠٣	٧٨٢	٤٣٣	١٨٩

المزارات والبدع

اصبحت الكنائس القديمة كالاثار تقصد للفرجه والزيارة لا للصلاة والعبادة حتى بدا في القوم افراط في التعبد لكل وهم وخيال. فاعتقد البعض أن العصبي تحتله روح نجسة أو شيطان مريد لا يخرج منه الا اذا نام في هيكل من الهياكل فيطرفه القديس بذيله أو بيده واعتقد البعض الاخر أن الامراض المعضلة تشفى حالا اذا انتقل المريض بسريره الى احدى كنائس الشهداء ليمسه خيال الشهيد فيشفيه لساعته ويالله!

واغرب من كل هذا وذاك ما تراه من تهافت ابناء الشعب عالمهم قبل جاهلهم على تعليق الحبال والاربطة والمناديل في اطارات صور القديسين في الكنائس على اعتقاد منهم انها اقوى العلاجات لدفع المصائب وازالة العثرات وتفريج الضيق واعلان الامور المستقبلة وناهيك بتمسحهم في الصور وتقبيلهم لها تقبيلا متواصلا يكاد يمحو ما عليها من الالوان.

ومعلوم ان السواد الاعظم من الكهنة ارتأوا أن مصلحتهم تطلب بقاء الشعب معتقداً بالخرافات والبدع لما ينالهم من النذور التي يقدمها المطلون والمتواكلون فاستأنسوا بضعف عقولهم واستهووهم بتقويتها في أذهانهم حتى استفحل الامر واصبح ما كان يستعمل للضرورة مباحا غير محظور ثم فشا فصار عقيدة مقبولة. وهكذا حتى دخل في

الدين ما ليس فيه واصبح ما يروج في اسواق العامة وافكارهم يروج في اسواق الكنيسة .

وليت الامر وقف عند هذا الحد بل انهم تطرفوا في عبادة الصور وتوقيرها الى حد جعلوا المسيحية نوعا من الوثنية لانه اذا كانت الصور اشارات كما يقولون الى بعض مناظر واعمال ماثلة في الكتاب المقدس وكان المقصود منها انما هو تعليم الذين لا يعرفون القراءة والكتابة مالا يقدرون على تحصيله من الكتاب والكنيسة فما بالهم قد تركوا العامة وما والاهم من القوم يتعبدون لها ويتبركون بها ويركعون امامها ويقدمون لها البخور ويوقدون امامها الشموع وينتظرون منها عمل العجائب واتيان المدهشات والغرائب .

قال يوحنا فم الذهب « علم النفس أن تصور ثوبا نظير ثوب المسيح لانها تقدر أن تصور ذلك اذا ارادت ولكن كيف يمكن ذلك وباي الالوان أو المواد ليس بشيء من الالوان والمواد ولكن بالفضيلة والوداعة والتواضع فقط » .

واذاما انتهينا من هذه النقطة رأينا مسألة اخرى اعظم وهي مسألة توقير ذخائر الشهداء وعبادتها بالرغم من عدم وجود دليل واحد في الكتاب المقدس يسمح بها لا سيما وان الادلة واهية على اثبات أن هذه الذخائر من بقايا الشهداء حقا . زد على ذلك أن هذا التوقير عادة وثنية انتقلت من هيا كل اجدادنا الى هيا كلنا كما صرح بذلك

فيجيلتوس في القرن الخامس للميلاد . نعم أن اوسابيوس اشار بالتمسك بها على امل أن تجعل الوثنيين اكثر ميلا الى المسيحية ولكن في هذا العصر الذي فيه بادت الوثنية فليس ثمت داع الى بقائها وتوقيرها الى حد العبادة .

هذا وقد اختلف الباحثون في منشأ هذه البدع فذكروا أسبابا كثيرة كلها فروع ترجع الى أصل واحد وهو الانحراف عن جادة الكتاب المقدس وشريعة السيد المسيح وتلمس الهدى من غيرهما . صحيح ان كل الديانات معرضة لمثل هذه البدع ولكن لا تفقد حكماء ذوي عزم ونشاط ينهون عنها وليس لنا من حكيم ننشده اليوم الا الدار البطريركية علها تشدد النكير على رعاتها بتنبيه الشعب الى ترك ما يخالف دينه وعقيدته لتنتفي من أذهانه الخرافات فينهض من كبوته بعد طول الجمود والانحطاط

المجلس الملي

في مثل هذا العام من القرن الماضي منح محمد علي باشا الاقباط الحق في أن يديروا بانفسهم وبالاشتراك مع رجال الاكليروس احوال اديرتهم وكنائسهم ومدارسهم فسار الشعب مع الكهنة والاساقفة والبطاركة يداً بيد حتى حلت سنة ١٨٧٣ فعرض المرحوم الانبا مرقص، مطران البحيرة على اسماعيل باشا الخديوي الاسبق طلب تشكيل مجلس ملي من ابناء الامة يتحد مع البطريرك ورجاله في نظر وادارة

الاوقاف فاجيب الى ما طلب وصدر الامر العالي في تلك السنة بانتخاب ١٢ عضوا لهذا المجلس و١٢ نائباً ولكنه ما لبث زمناً طويلاً حتى وقعت بين اعضائه وغبطة البطريرك الحالي مناقشات ومقاومات أدت الى حله وتعطيله

وفي عام ١٨٨٣ شعر المرحوم المغفور له بطرس باشا غالي بما يصيب امته من الانحطاط والتأخر بتبديد اموال اوقافها فاستصدر امرا عاليا في ١٤ نوفمبر من تلك السنة باعادة المجلس الملي فاعترض البطريرك على تشكيله اولا ثم اضطر الى الاذعان ثانية والف المجلس في يوم الخميس ٢٢ مارس سنة ١٨٨٤ بعد أن اظهر غبطته ميله الى تحقيق رغبة الامة وقد القى المرحوم بطرس باشا خطبة عند تأليف هذا المجلس قال فيها ما مؤداه .

« انه بتوفيق العزيز ورعاية مولانا الخديوى وعناية رئيس مجلس النظار ورضى وبركة الاب البطريرك اجتمعنا اليوم لانتخاب ارباب المجلس الذي انعقد تحت رئاسته للمعاونة على النظر في مهام الطائفة وفي ما يوجب تقدم شؤونها فلنترك التباغض والتنافر ونخلص ضمائرنا ولا ننتخب الا المشهود لهم بالفضل والحكمة حتى تحصل من اولى الحزم والمعرفة والذمة على الفائدة المقصودة ثم استشهد عن ضرورة انتخاب اللائقين بما ورد في اخبار الرسل عن انتخاب السبعة شمامسة لسياسة امور الارامل ص ٦ وبما جاء في سفر الامثال عن ضرورة

المشورة وفوائدها ص ١١ وص ١٥ قال ولنعلم انا كلنا اعضاء بيت واحد ويلزم أن تكون غاية الجميع عمرانه وتشييده فلنتحد ولنكن يداً واحدة وعلى قلب رجل واحد لنصل الى الغاية فبالاتحاد والتعاون يؤمل النجاح وبالمثابرة والثبات نصل بمشيئة الله الى ذروة التقدم وقمة الفلاح والنجاح »

وهذه الكلمات التي نطق بها عميد الامة وعظيمها والمملوءة حكما كانت تكفي لأن تسير بالامة الى الرقي وذروة النجاح ولكن ابت العراقيل التي تقف دواما في وجوه المصلحين أن تتركها وتتركهم فاخذ البطريرك يناوئ المجلس والمجلس يناوئه حتى بات شبيها بالمنحل وما جاءت سنة ١٨٩١ حتى اشتد مقت البطريرك للاعضاء فكتب بلاغا للمحافظة بمنع اجتماعه بالقوة وبعد مناوشات طويلة اقر راي الامة على رفع يده من شؤونها فصدر الامر العالي بذلك في ٢٧ يوليو سنة ١٨٩٣ فاصر غبطته على عدم الطاعة فصدر امر عال في اول ستمبر من تلك السنة بنفيه الى دير البراموس فذهب اليه ثم اعيد منه وضمت اليه لجنة بدل المجلس الملي لبثت تشتغل معه حتى سنة ١٩٠٥ حيث هبت الامة من كل جانب تطالب اعادة تأليف المجلس الملي وتنفيذ لائحة سنة ١٨٨٣ للنظر في الخلل الواقع في المدارس والاوقاف واحوال الفقراء فاشار اللورد كرومر بناء على ارشاد المرحوم بطرس باشا بوجوب تأليف المجلس فألف في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٠٥ الا انه لم يستمر في عمله طويلا

حتى وقعت مناوشات عنيفة بينه وبين البطريرك أدت مع الاسف الى حله ورجوع القديم الى قدمه بتسليم الاوقاف الواسعة الى ايدي الرهبان يتصرفون فيها كما يشاؤن وشاء لهم الهوى .

وان هذا التسليم الا كراهي لعبرة للمعتبرين . وهو وان لم يكن الاول في بابه الا انه احدى الامور التي يجب أن تهيج في الامة عاطفة الغيرة على مصالحها والعمل لصيانة اوقافها من طريقها .

وان وجه العبرة أن يتسلط فريق من الاكليروس على مصالح حيوية تخص امة كبيرة وهي بمعزل عما يجرى لا حظ لها من الاشتراك والعمل ومعرفة ابواب الانفاق .

ولا جرم أن هذا الحال كما يستدعي الاعتبار يستدعي التأمل في المخرج منه ايضاً فان المليون من النفوس القائم على بقعة واسعة من الارض باسم شعب من الشعوب وله شخصية عامة كشخصية كل شعب في العالم لا يصح أن تداس كرامته ولا يعقل أن يسكت على هذه الاهانة التي اصابته في اعز شيء لديه وهو الحياة والمال والشرف . خصوصاً اذا القى بنظرة على الطوائف المحيطة به ورأى لكل منها مجلساً مليا ينظر في احوالها وتقدمها . وهذه طائفة اليونان مع أن عددها لا يزيد على مائة الف نسمة في هذا القطر وليس لها من الاوقاف ما يوازي املاك دير واحد من ديورنا ولا فيها من الفقراء ما يوازي واحداً في الالف من فقرائنا لا يذهب فيها درهم ولا يفصل في مسألة من مسائلها الملية الا بعد اخذ

رأي مجلسها واقراره عليها . فهل يصح أن يكون حظ الاقباط بازاء اكبر شيء يخص وجودهم تمثيل دور القاصر الذي لا يستطيع القيام بامر من اموره .

لا يصح ذلك ولن يصح ولكن من الملوم في مثل هذا الشأن البطريرك ام الامة ام كلاهما معاً !

الملوم الامة وحدها لاني لا استطيع أن لا ارى مبلغ قوة الارادة الكامنة في مليون من النفوس فاعتبرها كمية مهملة لا تريد الا اذا منحت أن تريد ولا تأبى الا اذا سيقت لأن تابى

ان مظهر الشعور الذي أراه منها في هذه الاحوال يستدعي الاسف لا من حيث انها ملازمة فقط للسكون وعدم المطالبة بتأليف المجلس ولكن لان الضعف الذي تظهره في اختيار نوابها لا يوازي مبلغ الشعور القومي الذي تتأثر به عند التحرك والقيام بمطالبة حقوقها الممنوحة لها بأوامر عالية مع انه على حسن اختيار أولئك النواب وانتخابهم من أهل الفضل يكون استمرار المجلس وبقاؤه عاملا حيث يستطيع جمع القلوب اليه والتأثير على الأذهان بقوته وبمقابلته العناد بالحلم والاصرار بالتؤدة والشدة باللين وبذلك يمهد طريق الاصلاح ويرفع العثرات التي تحول دونه في هذا السبيل .

هذه مسألة بديهية لأن عمل الاصلاح أسمى عمل بين الاعمال ولا ينال شأو هذا السمو عادة غير أفراد قلائل يجب أن يكونوا متصفين

بصفات سامية كثيرة أخصها ست صفات نذكرها هنا على أمل أن يراعيها المنتخبون عند تأليف المجلس فيما لو الف حتى لا يعود فينحل مرة أخرى وهي : أولا — أن يكون المنتخب (بالفتح) ذا كفاءة شخصية الى حد يمكنه من معرفة المطالب العصريه التي تستنير بها الافراد وترقي الشعوب وثانياً ان يكون ذا سمعة طيبة وثالثاً أن لا يكون من طبعه التفاخر بالأعمال ورابعاً أن يكون حراً جريئاً لا متهوراً طائشاً وخامساً أن يكون مستكملا حاجاته الشخصية حتى لا يحول خدمته العمومية الى جانبه وسادساً أن تكون في يده قوة مؤثرة يستخدمها في تنفيذ أغراضه في سبيل الاصلاح

ورأينا بعد ذلك الى الشبان وغيرهم الذين يضجون كثيرا بالمطاعن أن يخمدوا من جذوتهم وان يضبطوا من السنتهم وأن يدعوا العقلاء لحل الاشكال واصلاح الأحوال . والله الموفق على كل حال

المدافن

ان مدافننا خصوصاً في القرى والبلاد مغاور مهدمة في وسط طرقات ومسالك وعرة تلقى فيها الجثث والتوابيت بعضها فوق بعض حتى اذا امتلأت نبشت والقيت العظام في الطرقات بطريقة مستهجنة تدمي الافئدة . ولا يمكن أن تجد مقبرة واحدة تستحق الذكر لأبناء الطبقة الوسطى أما الفقراء فلا يدهشك اذا قلت لك ان دفنهم عبارة عن القائهم في محيط عفن مفتوح تهبط اليه الطيور والنسور لتنهش

الجثث التي أمر الله تعالى بحفظها ووقايتها كما أمرت القوانين الوضعية بأن تكون في مأمن حتى لا تنتقل ميكروباتها الى الأحياء فتعدمهم الحياة وتلقيهم في الحفر

نعم ان الاضطهاد الذي حل بالامة في القرون الماضية جعل مقابرها على هذه الصورة المريعة ولكن في هذا العصر حيث أصبحت في رخاء وعدالة لماذا لا تهتم ببنائها وتنظيفها واصلاح طرقاتها . أو ليس من الغريب انها تقصر في هذا الأمر مع انه أهم وألزم واوجب وأرحم من اقامة المآتم العظيمه التي تتباهى بها على ظهور الموتى

ولا عبرة بأن الميت سواء صينت جثته أو لم تصن ستنحل عناصرها وتعود الى التراب الذي خلقت منه لان وقايتها والمحافظة على عظامها أمر واجب ومقدس في آن واحد لا سيما وان أجدادنا كانوا يعتنون بالاجساد بعد الموت اعتناءاً خاصاً كما يعتني بها الافرنج اليوم حتى جعلوا اضرحتهم قصوراً جميلة يتمنى الانسان أن يعيش فيها لا أن يلحد في جوفها وليس اعتناؤهم هذا اعتباطاً منهم بل تنفيذاً لتعاليم السيد المسيح نفسه الذي أوصى بالموتى خيراً

ولا أهم من أن نرسخ في نفوسنا تصوراً عادلا عن هذه الحياة التي نحرص عليها لكي نحافظ على جثثنا عند الفناء وقد قال باكون « ان الامم التي لا تعرف توقير موتاها لا تعرف كذلك قيمه الحيـاة » ولا خلاف ان المشاهد بيننا الآن هو عدم المعرفة حتى لتجد ن كثيراً من

الناس يشكون ويتذمرون من أن عظام أهليهم وأولادهم تنبش من القبور وتلقى خارجا كما تجد الوفا لا يعرفون مقابر موتاهم اما لأن الكنائس ضمتها على غيرها واما لأن تهدمها جعلها ركاما من التراب وكل هذه الأحوال التعسة المحزنة تعتبر دليلا على ان مصائب الاقباط ليست محصورة فقط في حياتهم بل وفي مماتهم أيضاً .

ولقد لقب الجنرال ديسيه القائدالفرنسوي الشهير مقابر الاقباط عقب وصوله الى مصر في حملة نابليون بمستنقعات وبرك تغوص فيها الجثث حتى انه خشي أن يلحد فيها صديقه الجنرال يعقوب القبطي فصحبه معه الى باريس ومن حسن حظه مات فيها ودفن في البنتيون باحتفال كبير . وهو أول رجل قبطي على ما أعلموقرت جثته واحترمت ولعل تلك الكلمة الصغيرة التي اوردناها تستفز العقلاء فيؤلفون لجنة منهم لتحسين المقابر وتنظيفها وتنسيقها لتكون مظهراً من مظاهر الحياة في الامة ودليلا بينا على شعورها بتوقير موتاها

الاوقاف

هي أغنى أوقاف النصارى في الشرق وأوسعها أرضاً وأكبرها ريعاً كما يوضحها الجدول المنشور في غير هذا المكان . اما عهدها فيرجع الى قرون واجيال ماضية وترجع هباتها الى قوم من كرام المحسنين الذين عاشوا في اوقات مظلمة وتمكنوا على الرغم منها ومن نيرها أن يمتلكوا بجدهم وجهادهم الاطيان الشاسعة والعقارات الواسعة لا خبا في التنعم والملاذ

بل رغبة في ترقية امتهم وميلا لانتشال الفقير من وهدة التعاسة الى مستوى السعادة .

هكذا صنع اولئك المحسنون الكرام وعلى وجوه الخير وتربية اليتامى واعالة الارامل وفتح المستشفيات وتعمير الكنائس والمدارس اوقفوا اموالهم واراضيهم ولم يكونوا انبياء ليعلموا أن تلك الاموال والاراضي ستمتد اليها الايدي في القرن العشرين فتبددها في غير سبلها ويصبح الفقير جائعا عاريا واليتيم شقياً بائساً والمريض عليلا دنفا والشيخ متسولا دليلا والمدارس مذاود والكنائس ملاهي والاديرة محطا للكسالى لا معابد للمتقشفين .

هذه هي حالتنا اليوم افليستيقظ النائم وليتنبه العاقل وليسمع المتصام وليفهم ذوو الشعور الحي أن من الفضيلة والحنان والرقي القيام بمطالبة الحكومة بتنظيم هذه الاوقاف أن لم يكن رحمة بانفسهم فتخفيفاً لويلات ومتاعب الانسانية المعذبة من اخوانهم ومن ذا الذي يري تلك الالاف المؤلفة من الشعب تفترش الارض وتلتحف السماء وتشرب الدموع وتأتدم الهواء ولا تأخذه الشفقة عليها.

اسمعوا اسمعوا ان صوت السيد المسيح الذي يرن في اذانكم من ٢٠ قرنا مضت أن لم يهز عاطفة الرحمة في قلوب المستغلين ريع اوقافكم فلا بد ان يهز عواطفكم ومن ذا الذي لا تأخذه صيحة الصالحين وانين اليائسين بل من ذا الذي يرضى أن تبقى امته جامدة منحطة واموالها

مبددة مبعثرة . ولدرهم واحد ينفق على الفقير في شريعة الله لخير من الف تقي ورع ودرهم ينفق على التعليم لخير من الف راهب يقضون حياتهم في غياهب الجهل والغباوة .

على أن هنالك فريقاً كبيرا يتوهم بان ريع الاوقاف ينفق في سبله ولو كان هذا التوهم صحيحاً لما ضن نظار الاوقاف برفع تقارير سنوية الى الشعب عن وجوه الايرادات والمصروفات بل لما اصبحت حالتنا في هذا الجمود الذي وصفناه . أو ليس من الحرام أن اوقافا عظيمة كاوقافنا يزيد ريعها السنوي على مائة الف جنيه ولا يعرف اين يذهب ولا اين ينفق . أو ليس من العار أن تكون ايرادات اوقافنا نحو ربع ايرادات اوقاف اخواننا ولا نساويهم على الاقل في اعمالهم الخيرية والعمومية في حين أن عددنا لا يزيد عن عشر عددهم .

أفي صدور رجالنا قليل مما صدور امثالهم من اخواننا ليقوموا يدا واحدة مطالبين بحقوق امتهم حتى يبددوا متاعب الفقراء وينفوا اشقاء اليتامى والارامل ويمسحوا دموع الباكين ويرفعوا شأن المدارس ويعمروا معابد الله ليحققوا آمال الواقفين

وها هي أملاك الاوقاف وريعها امامكم القوا بنظرة عليها لعلها تستفز هممكم وتنهضكم من خمولكم وها هو غبطة البطريرك يمد يده اليكم لتعينوه بفضلائكم على تنظيمها وضبطها وانفاق ريعها في السبل التي وضعت لها ولكنه يطلب رجالا للعمل لا للعناد وللجهاد لا للمقاومة

أملاك الاوقاف وريعها وقيمتها

أماكن الاوقاف	مقدار الاطيان س	ط	فدان	قيمتها جنيه	ريعها جنيه	مقدار الاملاك منازل	قيمتها جنيه	ريعها جنيه	المجموع الريع جنيه	القيمة جنيه
دير انبا انطونيوس	٣	٣	٩٣١	١٥١١٠٠	٧٨٠٧	٤٠	٥٣٣٥٠	٢٦٣١	١٠٤٣٨	٢٠٤٤٥٠
دير انبا بولا	٦	٢٠	٦٨٠	١٠٩٠٢٠	٥٢٦٢	١٠	١١٣٨٠	٥٢٢	٥٧٨٤	١٢٠٤٠٠
دير أبو مقار	٢	٣	٩٤	٩٥٠٠	٤٨٠	٧	٦٢٠٠	٣٠٦	٧٨٦	١٥٧٠٠
القيامة والست دميانه	١٠	١٤	٨٠٠	٣٢٤٠٠	٢٥٢٥	٧٠	٥٧٥٠٠	٢٦١٧	٥١٤٢	٨٩٩٠٠
دير البراموس	٨	٢٢	١٥٦	١٥٦٠٠	٨٥٥	١١	١١٦٠٠	٥٣١	١٣٨٦	٧٢٢٠٠
الدير المحرق	٢٠	١٩	١٩٨٠	٢١١٤٦٠	٩٤٠٠	٨	٤٨٥٠	٢٣٣	٩٦٣٣	٢١٦٣١٠
انبا بشاي	٦	٦	٧٨	٦٤٠٠	٣٩٠	١١	١٠٥٣٥	٥٢٣	٩١٣	١٦٩٣٥
كنيسة الاسكندرية	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٣٩	٦٦٤٥٠	١٦٣٨	١٦٣٨	٦٦٤٥٠
دير السريان	٤	٢٠	٨٠	٦٨٠٠	٤٥٥	١٠	١٠٥٣٥	٥٢٢	٩٧٧	١٧٣٣٥
الكنيسة الكبرى بمصر	١٩	٢٠	(١) ٣١٢٢	٢١٠٣٢١	١٠١٣٨	١٠٠	٤٥٤٤٢١	٨٥١٧	١٨٦٥٥	٦٦٤٧٤٢
أوقاف سنديس	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٥	٢٠٠٠	٨٨	٨٨	٢٠٠٠
دير جبل الطير	٢٠	١٩	٤٥	٣٩٠٠	٢٥٠	٠٠	٠٠	٠٠	٢٥٠	٣٩٠٠
[illegible]	٨	١٩	٣١	[illegible]	[illegible]	٠٠	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
أوقاف الجمعية الخيرية	٨	١٢	٢٨٦	١١٠٨٠	٩٣٠٠	٣	٩٠٠	٥	٩٣٠٥	١١٩٨٠
أملاك القدس	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١٥٠٠٠٠
المجموع العام	٩	١١	٨٢٩٠	٧٨٣٥٨١	٤٦٩٦٢	٣١٤	٦٨٩٤٢١	١٨١٣٣	٦٥٠٩٥	١٦٢٣٣٠٢

(١) ولها أيضاً من النخيل ما قيمته ٦٥٠٠ جنيه وريعه ٣١٣ جنيها في السنة ومن الاوقاف الخيرية ما يزيد ريعه عن الالفي جنيه ومن الرسوم والنذور وغيرها ما يبلغ ريعه فوق الالفي جنيه على أقل تقدير. هذا ولجمعية التوفيق من الاوقاف ٥٥ فدانا قيمتها ٤٠٠٠ جنيه و ٤ منازل قيمتها ٢٣٦٠٠ جنيه

والتوقير لا للتحقير

نقول ذلك ونحن شديدو الامل بالنجاح او ببعضه لاننا نعتقد ان عار الفشل في تنظيم الاوقاف سيكون ملازما لنا الى الابد واعظم دليل على انطباعنا على الاهمال والخمول وهما من اقبح المزايا التي يعيرنا بها الغربيون في اقوالهم وكتاباتهم . فهل نحن مدركون ؟ الله اعلم

الحياة الادبية والاجتماعية

٧

دخلت الامة القبطية منذ عهد الفرنسويين في عصر أدبي عظيم لم تعرفه من قبل ولم يدر في خلد ابنائها انها ستتحول هذا التحول السريع وتنقلب هذا الانقلاب العظيم ولكن الذين خبروا أحوالها وعقولها في ازمنة الظلم والعبودية ووقفوا على ذكائها المتوقد كانوا يتوقعون حدوث هذا التغيير طبقاً لمقتضى ناموس التقدم والعمران في كل أمة ذكية تشتغل بالعلوم الحديثة وتحتك باهل المدنية الصحيحة الخالية من شوائب الاوهام ومفاسد الخزعبلات

وقد بدأ هذا العصر الادبي بظهور المعلم الياس بقطر واضع أول قاموس بلغتي العرب والفرنسيس ومؤلف عدة تصانيف في اللغتين لا تزال محفوظة في مكتبة باريس ومتداولة بين ايدي طلبة مدرسة المستشرقين ثم ازداد نموا في عصر محمد علي واستكمل في سنة ١٨٤٠ حيث انشأ المغفور له البطريرك كيرلس الرابع أول مطبعة أهلية طبعت عدة

مؤلفات ثمينة احدثت في الامة ثورة أدبية كان تأثيرها هائلا في الافكار حتى انك لا تكاد تعد النوابغ الذين رفعوا شأن الامة وا كبروها في عيون الامم الغربية الا ذلك النفر الذي تخرج في ذلك العصر المستنير وكان له الفضل الا كبر على البلاد ليس فقط في تربية اولادها وتلقينهم العلوم واللغات بل وايضاً في نشر الصحف التي هي عنوان الرقي الادبي في كل أمة فظهرت جريدة الوطن لمخائيل افندى عبد السيد كان لها الصوت الا رفع والكلمة المسموعة في اخريات حكم اسماعيل واوائل حكم توفيق ثم برز الى ميدان العلوم والاداب والتأليف والتصنيف والترجمة جماعة من كبراء العقول وفحول العلماء امثال وهبي بك ومخائيل بك شاروبيم والمرحومين يعقوب بك نخله رفيله وجرجس بك ميلاد وعريان افندي مفتاح وابراهيم بك روفائيل والقمص فيلوثاوس ورفله افندى جرجس وغيرهم من الافاضل الذين اطرفوها بنفائس معارفهم وعلومهم وازآئهم وارشاداتهم في كتب تتضمن كيف يجب النهوض وكيف يجب الارتقاء . بل في كتب تعد حجة في اللغات العربية والقبطية والاجنبية والتاريخ والاداب ويكفى ان تكون مؤلفات اولهم من اثمن المؤلفات العربية والادبية التي لم يأت بمثلها الا القليل من علماء النحو والبيان والبديع والعروض كما يكفي ان تكون مؤلفات رابعهم أول كتب وضعت لتعليم اللغة الانكليزية ولا تزال متداولة بين ايدي طلاب المدارس الاهلية والاميرية وكما يكفي أن يكون مؤلف ثانيهم اعظم

تاريخ وضع لمصر بشهادة كثيرين من فضلاء المؤرخين

وليست دائرة التأليف عندنا مقصورة على من ذكرنا بل هناك مؤلفات عديدة لبعض الفضلاء في العلوم والفنون والتشريع والمباحث الاخلاقية والمالية والدينية وكلها دليل على ان القرن الماضي كان قرن جهاد وارتقاء عقبه في هذا القرن سكون دام الى هذه الأيام ولا يزال مستولياً ولا يمكننا تعيين نهايته بعد أن دلتنا الدلائل على ان خمود جمرة الغيرة الادبية في صدور النوابغ هو لانهم لم يجدوا في القلم لذة توازي لذة جمع المال ولم يجدوا على المكتبة الأدبية المجد والفخر اللذين وجدوهما في الشهرة الذاتية التي تموت بموتهم . ولقد صدق من قال ان سعادة الغني جمع المال من الناس فيموت دون ذكرى ولو كان أعلم العلماء وسعادة العالم توزيع العلم على الناس فيبقى ذكره حياً الى الابد

على ان تلك اللذة المالية أوجدت شعوراً عاما كاد لولا همة بعض الفضلاء وأصحاب الصحف اليومية والمجلات أن يطفئ نور الحياة الادبية في الامة وليس من دليل يمكننا أن نتكئ عليه في اظهار هذا الشعور أصح من تجافيها عن الأخذ بمعاونة المؤلفين أو على الأقل بدفع اشتراكاتها في الصحف والمجلات التي ترفع صوتها في كل مكان وتظهر مكانتها من العلوم والرقي وياليت الذين يبخلون بهذه القيمة القليلة من الفقراء بل معظمهم من الاغنياء الذين اذا سألتهم دفع الاشتراك أو اعانة مشروع أدبي ولو بقليل من مالهم كنت كمن تتكلم معهم بغير لغتهم فهم يسمعون

منك لفظاً ولا يفهمون له معنى واذا أعدت عليهم القول والحض فاما أن يهربوا منك هرباً أصولياً ويتقهقروا بنظام واما أن ينتحلوا أعذاراً وهمية بان غلاف الجريدة يرد اليهم دون طبع وبدون التبجيل اللازم واما أن يتثاءبوا وينـاموا فتضطر أن تدعهم وشأنهم شفقـة عليهم أو اشمئزازاً منهم أو احتقاراً لهم

وبناء على ذلك هبطت الامة بعد علاها الى أحط الدرجات في هذه الحياة العالية وأصبحت مضغة في الأفواه بفتورها وجمودهـا . وقد لا يمكن أن تعيد مكانتها الاولى الا اذا هذب أولياء التعليم عندنا معارف أولاد الأغنياء ليرقوا غداً حالة الأدب والادباء

الصحافة والمجلات

هي شعار الأمة وعنوان رقيها الأدبي في نظر الاجتماع ليس لانها تعمل فقط لخير بلادها ورفع شأن شعبها بل لانها المصباح المنـير الذي يضيء طريقـة والصوت العالي الذي يتردد في كل مكان مدافعاً عنـه مطالباً بحقومه أزاء العناصر الأخرى معضداً له في معضلات الامور فهي شريكته في القول والعمل كما هو مدين لها ضعف دين أصحابها للواجبات المقدسة .

واذا ما قلنا ان الصحف والمجلات من أعظم الأدلة على ارتقاء الامة فلأنها مرآة أخلاقها وعاداتها بل هي لسانها الذي تنطق به بصراحة تامة وقلمها الذي تجريه بلا تصنع ولا تكلف . فمن أحاديثها واشاراتها

تعرف مقام عقول أمتها ومداركها ومن آثار أقلامها تقف على مقدار
استعداد تلك الامة للارتقاء وتعرف قوة مواهبها الغريزية والاكتسابية
وفي أي طريق تسير بها هذه المواهب والى أي غاية تقودها . والحمد
لله فقد رأيناها تنهض بنا الى حيث يصافحنا المستقبل بيمين السلام .
وتجاهد في سبيل ترقيتنا جهاداً يوصلنا الى الفوز المبين ولكننا لم نمد
لها يد المعاضدة والمساعدة الادبية والمادية حتى لا أغالي اذا قلت انه
لو لا همة رجالها وانكارهم لذاتهم لاصبحت الامة خالية من هذه القوة
الحيوية العظيمة

ولا محل للعجب من هذا الامر لاننا لو بحثنا عن الأسباب
الجوهرية التي حجبت مجلات علمية كثيره لرأيناها ترجع الى سبب
واحد وهو عدم اقبال الامة على الاشتراك فيها وضن المشتركين
أنفسهم بدفع الاشتراك . وسواء كنتم تجهلون هذه الحقيقة الساطعة او
تتعمدون تجاهلها فعلى كلا الحالين لابد لكم ان تصادفوها في طريقكم
وتشعروا بتأدية واجباتكم نحوها كما تؤدى هي واجباتها نحوكم التي يتوقف
عليها رقيكم الاجتماعي .

وفضلا عن ذلك فقد توجد دفاتر الاشتراكات في ادارات الصحف
والمجلات دليلاً على هذه الحقيقة وعلامة على الجمود المتمشي في
صدوركم وعلى جهلكم بمقتضيات حالات الرقي الاجتماعي والادبي
والعمراني في الامم

والذي يوجب الاسف والحزن الحقيقي ليس هو فقط عدم المؤازرة المادية بل على الخصوص تجافي النوابغ واهل العلم عن مناصرتها باقلامهم ومع ان بعضهم كان من اول الغيورين على انشائها كان اكثرهم ابتعادا عنها ليس لانها على مبادئ تخالف مبادئهم بل لأنهم يستصعبون خدمة امتهم بدون جزاء مادي

وقد اوجبت هذه الحالة وجود نوع من التفرق في آراء وافكار الصحيفتين اليوميتين في مبدأ الامر أي انه كان لكل منهما مبادئ وأفكار قائمة بذاتها وعلى مقتضى ميول قرائها ثم عادت فامتزجت في هذا العام امتزاجاً حقيقياً للتوفيق بين تلك المبادئ المتفرقة والأفكار المختلفة

وهذا الاتحاد الذي يسرنا جميعا تم على خلوص النية وحسن الطوية ومقصود به خير الامة الادبي واصلاحها الاجتماعي والوطني . ويقيننا انه من عهد هذا الوفاق والاقباط مؤتلفون في افكارهم متوحدون في ارائهم معتمدون عليها في نيل حقوقهم المهضومة اعتمادا زاد صاحبيهما عملا وجهادا حتى لا ابالغ اذا قلت انهما كرسا حياتهما لخدمتهم وضحيا كل سعادتهما واوقاتهما في سبيلهم .

ومن رأى جندي بك ابراهيم صاحب الوطن وتادرس بك شنودة صاحب مصر منكبين ليلا ونهارا ساعيين سعيا متواصلا لاحياء امتهما عرف فضلهما ومن المزايا التي اختصا بها وكانت أعظم الاسباب لنجاحهما

وشهرتهما الواسعة انه اذا خطر لهما ان يقوما بأمر عظيم الشأن فلا يترددان في ابرازه من القول الى الفعل لحظة واحدة لا سيما اذ لاح لهما ان عملهما هذا يعود بالفلاح الباهر على امتهما وبلادهما فانهما يقدمان عليه أقدام الاسود ويكفيهما الجهاد العظيم في تمتين رابطة الاخاء بين الاقباط والمسلمين باخماد اصوات المتمصرين الذين يجارون ابناء المنصرين في اوهامهم واحلامهم وجهلهم وخزعبلاتهم وهوسهم حبا في سلب المال بل يكفيهما النضال الشديد في مقاومة السلطة الدينية لفصلها عن السلطة المدنية رغبة في رفع شأن امتهم

اما مجلاتنا فلله الحمد كثيرة ونافعة . وان احتجبت منها المجلة القبطية لجرجس افندي فلتاؤس وعين شمس لاقلاديوس بك لبيب والعائلة القبطية لجمعية الاتحاد الاسكندري . وقد بلغ عددها في هذا العام ٢١ مجلة وترى عنواناتها واعمارها ومباحثها واسماء اصحابها وعدد مشتركيها في الصحيفة التالية

وقد يستفاد من هذا البيان الوجيز ان نفقات المجلات تربو على ايراداتها بكثير اذا نظرنا الى عدد مشتركيها وقيمة ما يدفعون بل اذا نظرنا الى عدد الذين يأكلون حقوقها وكثير ما هم . وانها لفضيحة كبرى ان تكون أمة كالاقباط ينوف عدد القارئين والمتعلمين فيها على غيرهم ولا يكون نصفهم على الاقل مشتركين في النشرات العلمية والادبية والاخلاقية والدينية للاستفادة بما فيها وتنشيطها على التنقل

أسماؤها	مباحثها	أصحابها	عدد مشتركيها	قيمة اشتراكاتها ص	نفقاتها السنويه جنيه	عمرها سنة
المحيط	علمية ادبية تاريخية	عوض واصف	١٢٠٠	٥٠	٢٤٠	٩
المفتاح	« « «	توفيق عزوز	٩٣٠	٤٠	١١٠	١١
فرعون	اجتماعية ملية أدبية	توفيق حبيب	٦٠٠	٢٠	٦٦	٢
طبيب العائلة	صحية أدبية	الدكتور حبيب خياط	٨٠٠	٣٠	٧٠	١٥
الشمس	علمية زراعية	مسيحه خليل الجرجاوي	٥٠٠	٥٠	٣٥	٢
الجنس اللطيف	نسائية ادبية	السيدة ملكه سعد	١٠٠٠	٤٠	٩٠	٣
الحق	دينية ملية ادبية	يوسف بك منقريوس	٨٠٠	٢٥	١٣٠	١٦
الرابطة المسيحية	« « «	فرح جرجس	١٠٠٠	٤٠	٧٠	٤
التوفيق	« « «	جمعية التوفيق بالقاهرة	١٥٠٠	٢٠	١٢٠	١٥
الكرمة	« « «	حبيب جرجس	١٩٠٠	٢٥	٢٠٠	٦
ميزان الاعتدال	قضائية تشريعية	عازر حلمي المحامي	٥٠٠	٤٠	٦٠	٨
المستلطف	علمية فلسفية أدبيه	جرجس ياضي		٥٠		تصدر في يناير سنة ١٩١١

من درجة الى اخرى اعلى منها حتى تصير على مثال غيرها من المجلات الاوروبية الكبيرة أو على الاقل يساعدون اصحابها الذين يعانون المصاعب الجمة في اصدارها في حين انهم لو تحملوا اربع عنائهم واضاعوا اربع وقتهم في ابسط عمل كسمسرة أو دلالة او نحوهما لربحوا اضعاف ما يربحونه اليوم من صناعتهم القلمية

واني وان كنت لم اتباحث مع اصحابها عن الطرق التي اتبعوها في بقاء مجلاتهم حية الي اليوم ازاء فتور الامة وجودها الا اني اختبرت ثلاثه منهم اختبارا حقيقيا يمكن ان يتخذ قياساً على الباقين وهؤلاء الثلاثة هم عوض افندي واصف وتوفيق افندي عزوز وتوفيق افندي حبيب حيث نال أولهم وثانيهم من المتاعب ما تنوء أمامه الجبال الراسخة تارة من مماطلة المشتركين وأخرى من هربهم وادعائهم الكاذب بأن المجلة لم تصلهم أما ثالثهم فقد اكتفى بأن يطبع مجلته ويتحف بها أبناء أمته لانهاضهم على المطالبة بحقوقهم في الاوقاف دون أن يبحث في أمرهم أو يهتم بمن يدفع منهم الاشتراك او من لم يدفع. فتعساً لامة هذا حالها وويل لادباء هذه حياتهم

الجمعيات والاندية

ان انتشار الجمعيات والاندية ان لم يكن في حد ذاته من دلائل الارتقاء الطبيعي الصحيح الا انه يعين وحده على انهاض الامم الخاملة من سباتها لانه من الوسائل الثانوية التي تساعد على الارتقاء مساعدة

فقط وقد قال روسو وغيره من المفكرين ان من ضروريات السعادة في الامم ان تكون ذات اجتماعات عامة مفيدة وصالحة لا تقتصر على صرف الوقت في الاحاديث التافهة بل تستلزم أن تكون دفتها محولة دواما اصالح الشعب الذي تعيش فيه

ولا خلاف انه اذا كان الأقباط هم أصحاب الفضل الأول على البلاد في تأليف الجمعيات والأندية قبل اخوانهم لشعورهم بما تستلزمه الحضارة من التآلف والاتحاد فقد تأخروا عنهم شوطاً بعيداً في ضروريات هذه الجمعيات وكمالياتها . وكثير من الشواهد والأدلة تؤيد هذا القول وأخرج الى جمعياتنا وانديتنا مساء وتخللها تجدها اما خالية من مشتركيها واما مجامع صفاء ينفق فيها الوقت بين لعب وطرب على حين ان أندية اخواننا مجتمعات للبحث في الشؤون العامة ولالقاء المحاضرات التي تفيد أعضاءها وتعمل على تمية عقولهم بما يزيدهم شعوراً بحاجيات أمتهم وبلادهم مهما قيل انها أندية دينية محضة وأنديتنا انسانية مجردة لأن ينبوعي نمو الانسان أعني بها الديانة والانسانية يجريان في آن واحد وينتجان النمو لا الجمود والتقدم لا التأخر

وقد لا ينبغي العجب من هذا القول فمن دخل هذه الجمعيات وراى فتور أعضائها وضنهم بدفع الاشتراكات وعدم اعتبارهم لهيئتها وتأخرهم عن حضور اجتماعاتها وتزاحمهم على رئاستها اتضح له الأمر وعرف انها أسماء على غير مسميات حقيقية وهذه جمعية التوفيق المركزية

أكبر جمعيات القطر الاهاية بعد العروة الوثقى لولا ثبات رئيسها الدكتور ابراهيم بك منصور وتضحيته لأمواله في سبيلها لما بقيت الى اليوم حية عاملة

وفي وسعي أن أذكر أموراً أخرى كثيرة ولكن ما ذكرته كاف ليثبت لنا هذا الامر الحقيقي ومع ذلك فقد لا يدفعني هذا النقص الى اغفال الاعمال العظيمة التي قامت بها الجمعيات والمجتمعات خدمة لامتها ووطنها لان في ذكرها تحريكا لغيرها في النسج على منوالها

***

كانت الامة حتى عام ١٨٧٠ على حالة لا توصف من الخلل وعدم الانتظام وكان ابناؤها بعيدين عن كل تآلف واختلاط ولم تكن لهيئتهم رابطة ولا قدرة على الارتباط والاتحاد حتى قام نفر من افاضلها في عام ١٨٧٣ والفوا جمعية باسم الجمعية الاصلاحية وهي اول جمعية الفت في هذا القطر وكانت مليه محضه ثم الفت جمعية التوفيق في سنة ١٨٩١ بواسطة بعض رجال النهضة ومنهم جندي بك ابراهيم صاحب الوطن وتفرعت في جل عواصم الاقاليم والبنادر البحرية على الخصوص وقامت باعمال عظيمة كانشاء المدارس لتعليم وتهذيب البنين والبنات وقد انشأت في القاهرة مدرسة ابتدائية وثانوية كبرى ومطبعة تعد من اكبر مطابع القطر وانظفها وعربات وتوابيت للموتى

ومدرسة صناعية ومجلة طائفية تبسط فيها اراءها وافكارها الى غير ذلك من الاعمال التي تشكر عليها وتستحق لاجلها كل حمد وثناء . ثم الف المرحوم بطرس باشا غالي الجمعية الخيرية القبطية فخففت كثيراً من ويلات الفقراء وخدمت اليتامى والمرضى من عهد انشائها الى اليوم خدمات جليلة لا يستطيع أن ينكرها واحد كما اسست في السنة الماضية مستشفى خيري في شارع كلوت بك . ثم الف جرجس بك انطون جمعية العروة الوثقى في الاسكندرية وتركها لاخواننا ثم شكل اخنوخ افندي فانوس وتادرس بك شنوده صاحب جريدة مصر مجتمع الاصلاح لكنه مات قبل أن يمر عام على تأليفه وان عاشت فروعه في اسيوط وفي بعض البلاد تناضل في سبيل الامة لاعادة مجلسها الملي وكذلك الف حبيب افندي جرجس صاحب مجلة الكرمة جامعة المحبة وهي من اقوم جمعياتنا حيث تبذل كل غال ومرتخص في سبيل تثقيف البنات الفقيرات والقيام بحاجياتهن بالرغم من شح الاغنياء وبخلهم عليها ثم الفت جمعية الاتحاد في الاسكندرية وهي تعد ايضاً من افضل الجمعيات وارقاها لانها تشتغل بجد واجتهاد للقيام بزواج الفقيرات مستمدة مالها من اعضائها لتنفقه في سبيل الراقدات تحت نير الفاقة والشقاء ثم الفت جمعيات الرابطة المسيحية والايمان وثمرة التوفيق والاخلاص والثبات وكلها ملية غرضها تثقيف عقول الشبان بتعاليم السيد المسيح وبعدها الفت جمعيتا الترغيب والتهذيب في القاهرة

وثمرة الحياة في المنصورة فانشأتا المدارس لتعليم البنين والبنات واخيرا الفت جمعية اصلاح النفوس وهي أدبية تبسط أراءها في مجلة فرعون ثم جمعية الشبان المسيحيين في القاهرة وهي ارقى جمعياتنا حيث تسير فعلا على مبادئ تؤهل الامة للتقدم والفلاح لان جل اعضائها من نخبة الشبان المجاهدين لاعلاء شأن امتهم وبلادهم .

على أن كل ما نراه من اعمال هذه الجمعيات نجده قائما على اكتاف افراد معدودين اما بقية اعضائها ومشتركيها فهم صور تتحرك لا للعمل والخدمة العامة بل للتفاخر والشهرة الذاتية . وقد طالما تصدعت الخواطر من ادعاءآت الذين يحشرون انفسهم في موضع المصلحين وهم تراهم في كل يوم ينادون بانهم اول من فعل وهب أن لهم هذه الاعمال التي يدعونها فليس من واجب الخدمة العمومية التفاخر بها لان ذلك من قبيل الخدمة الشخصية المنافية لخدمة الصالح العام . وقد تطرف كثيرون في هذا الميل وصار كل منهم يحاول الادعاء بانه الالف والياء والاول والاخر والحقيقة التي يجب أن يعترف بها أن اكثر الذين يتولون شؤون الاصلاح في الامة يغلب فيهم الضعف على القوة فهم في حاجة كبرى الى الاتحاد حتي تنشأ فيهم قوة تؤهلهم لعمل الاصلاح ولا يكون هذا الاتحاد الا اذا نفي كل امرئ عن نفسه حب الظهور الكاذب ومحاولة اسقاط غيره أو تولى غيره اسقاطه لان في شيوعه بيننا مضرة فاضحة لا يجهل امرها العقلاء .

والخلاصة اذا كانت امتنا دخلت أو كادت تدخل في سلك الامم الراقية يجب أن لا تكون جمعياتها راسخة في قيود حب الذات وضعف الارادة بل يجب أن تكون عاملة على خير امتها بدون نظر في جزاء ولا اهتمام بثناء لنصل واياها الى الدرجة التي يريدها لها المخلصون والسلام

الحياة الصناعية والفنية

٨

كنا آباء العالم في الصنائع والفنون كما كنا مهذبي الشعوب من الرومان الى العرب الى الاتراك الى سائر الامم التي تملأ جوانب الأرض من مشرقها الى مغربها وقد بقيت صنائعنا وفنوننا زاهرة زاهية حتى القرن السابع عشر للميلاد ولا تزال الآثار القديمة والأعمدة والنقوش في المساجد والكنائس وفي متحف الآثار العربي شاهدة عدل على هذا الرقي وذياك النبوغ

قال الرحالة بروس الانكليزي(١) « لا تزال الصنائع نامية في مصر الحديثة كما كانت في مصر القديمة حتى لا يمكن أن تفرق بين اتقان الصناعتين ولا أن تميز بين الصانع المصري الوثني والصانع المصري المسيحي في شيء » . وقد صدق هذا الرحالة في قوله فان من ضاهى بين صنائعنا وصنائع غيرنا حتى ذلك العصر عرف تفوقنا فان العرب لم

(١) جاب أفريقيا في القرن الثامن عشر للميلاد وكتب طويلا عن المعلم رزق وزير علي بك الكبير ولقبه بالفلكي المصري لبراعته في رصد النجوم

يعرفوا بناء القباب والمآذن التي تزدان بها الكنائس حتى ان كثيرين من الولاة كانوا يعجبون بها ويندهشون من نقشها الهندسي الجميل وبعد ذلك قلدونا في بناء جوامعهم وان أخذوا أعمدتها بالقوة من كنائسنا لانهم لم يفقهوا نحتها وتشييدها على القواعد الهندسية التي كانت معروفة يومئذ لنا غير انهم صنعوا في الأزمنة الاخيرة أعمدة لمساجدهم اذا رأيت أحدها عرفت الفرق الهائل بينها وبين أعمدة الكنائس القبطية التي سلبوها منها ويكفيك دليلا المسجد الاثرى القديم في المحلة الكبرى فانه يحتوي على مائة عمود منها ٧٤ أخذت من الكنائس القبطية والباقية أعمدة حديثة لا تناسب تلك في شيء كذلك أكثر الاعمدة الموجودة في الجامع الازهر وبقية المساجد القديمة فانها مأخوذة من الكنائس أو صنعها الاقباط بانفسهم كما ان ظهور المدنية في بغداد ترجع الى فضلهم حيث استدعى هارون الرشيد الخليفة المشهور فريقاً كبيراً من مهندسيهم وصناعهم لبناء قصوره ومساجده ومعامله

وليس ذلك فقط بل ان القناديل والمصابيح والاسبلة والنقوش والمنابر الجميلة الموجودة في المتحف العربي وفي المساجد ليست الا من صنعهم في معاملهم التي بقيت تشتغل في وادي النطرون وفي الصعيد حتى أواخر القرن السابع عشر وبالمثل قل عن الميضة الموجودة في المساجد للوضوء فانما استعملها العرب على طريقة الحوض الموجود في الكنائس القبطية للاغتسال فيه يوم خميس العهد وعيد الغطاس وفوق ذلك فقد

شيد ابن كاتب الفرجاني المهندس القبطى الشهير جامع أحمد ابن طولون وصنع فى صحنه ميضة جميلة الشكل منمقة بالفسيفساء (١) والاحجار الملونة كما نقش فى رواقه وصف وتاريخ بنائها وهذه الكتابة لا تزال واضحة وظاهرة الى اليوم كأنها حديثة العهد كما بنى هذا المهندس المسجد كله وصنع له أعمدة بلا مثيل وقبابا وقواصر تعد أجمل مما صنعه الصناع فى الاعصر الاولى ثم أرغم بعد عمله على اعتناق الدين الاسلامى فأبى وكانت نتيجة آبائه قطع رأسه واخماد أنفاسه (٢)

---

(١) هذه صناعة مصرية قديمة لا عربية كما يدعي البعض وقد عثر عليها المسيو بتري العلامة الاثري في مقابر قدماء المصريين وقال عنها في مؤلفه ان أجل المقابر في ميدوم هي مقبرة الامير نفرمايت وامرأته اتيتي لان نقوشها تختلف عن النقوش المعتادة فتجد الطيور ماثلة في الحجر بظلها وتقاطيعها ومصنوعة بالفسيفساء اي بالمينة الملونة بلون أجزاء الجسم

(٢) قالت مدام بوتشر فى تاريخ الاقباط الذي وضعته حديثا ان أحمد بن طولون لما أراد بناء جامعه تقدمة لله أمر فتلي عليه القرآن الكريم فلما ان وصل به القاري الى الاية الآمرة بعدم استعمال الادوات المسروقة في بناء الجوامع نهض من مكانه ومزق ثيابه وصاح قائلا انه يستحيل تشييد الجامع بدون نهب مواده من الكنائس فانني ما سمعت من يوم وجودي في العالم ان جامعا بني دون أن تأخذ أعمدته من الكنائس المسيحية ولكن المهندس بن كاتب الفرجاني القبطى الذي كان مسجونا وقتئذ أرسل اليه يقول انه اذا أطلق سراحه فهو يتعهد ببناء الجامع بدون نهب شيء ولذا حل عقاله وأمره ببنائه فبناه على أحسن نسق وبمال الخزينة السلطانية التي كان يديرها وقتئذ المعلم يوحنا وابنه مقار كما قال المؤرخ نيل الشهير

على أن همة الاقباط لم تفتر بعد موته بل اخـذت الصنائع تزداد ارتقاء ونموا حتى بلغت مبلغا عظيما في عهد السلطان سليم الذي سير معه عقب استيلائه على مصر اهل الحرف والفنون والعلوم والمعارف من الاقباط وبينهم المعلم بانوب كاتب خزينة الاشرف وابراهيم زيدان وعبدالله بركات ليضعوا نظاما حسابيا لسلطنته على مثال النظام الموجود في مصر ومن هؤلاء تحضر الاتراك ونبغوا في الصنائع والفنون والهندسة والحساب كما تحضر العرب على ايدي اخوانهم من قبل .

والذي يزيد هذا البيان ثبوتا أن جميع الصناعات التي لها علاقة بالمعيشة لا تزال الى اليوم في ايدي الاقباط وان انحطت وزال رونقها واتقانها وتنسيقها كما أن الحساب القبطي هو الشائع للآن في مصر بواسطة النظريات الحسابية البسيطة حتي أن المهندسين يرجعون اليه في مساحة الاراضي وبالرغم من جهاد مصلحة المساحة في ايجاد طرق اخرى لم تتمكن أن تخرج عن الطريقة القبطية فاضطرت أن توسع نظريات حساباتها وتقيدها بضوابط هندسية حتى يمكن عمل الحساب على المسايح بالطريقتين القبطية والهندسية في آن واحد بان اخترعت لذلك آلة لمسح الاشكال بحساب الفدان والقيراط والسهم وعلى هذا يمكن القول أن الحساب القبطى اصبح من الروابط الهندسية في هذه الديار .

والخلاصة إني ما اتيت بهذا البيان الا لاعرفكم ما ضيكم من حاضركم

واريكم الفرق الهائل بين ما كنتم عليه وما اصبحتم فيه لعلكم تهبون لتوسيع نطاق الصناعات وترقية شأن الفنون لتزيدوهما نموا وقوة فيزيدوكما فلاحا وثروة ورخاء وتقدما .

المدارس الصناعيه

في اخريات سنة ١٩٠٣ تنبهت الامة الى ضرورة ترقية الصناعات والفنون لاعادة مجدها القديم فقامت جمعية التوفيق تحض الاعيان وتستنهض الهمم للاشتراك في هذه النهضة العالية وتلتها الدار البطريركية في سنة ١٩٠٤ حيث هبت تجمع التبرعات لانشاء مدرسة اخرى .

(مدرسة التوفيق)

وقد تمكنت الاولى من انشاء مدرستها في سنة ١٩٠٥ لتدريب التلاميذ على صناعتي البرادة والنجارة ولكنها لم تفز بالنجاح المطلوب في مبدأ الأمر حيث أن ما قدمته من عمل تلاميذها في المعرض الزراعي العام بالجيزة لم يكن الا شيئاً يسيرا بالنسبة لما قدمته المدارس الصناعية الاخرى وذلك لقلة ادواتها والاتها . ثم أتمت بعد التعب الشديد تركيب وابورها المسير للآلات ورشتيها في السنة الماضية وشغلته كما اخذت في انشاء مسبك لسبك المعادن ولكنها عادت فتوقفت عن العمل لعدم وجود المال اللازم لديها لا لاتمامه فقط بل أيضاً لمشترى لشراء العدد الكثيرة التي بتوقف على وجودها نظام العمل واتقان المتعلمين لصناعتهم وقد علمت أن ورشة النجارة تنقصها منحاة (فارة) ومثقال

مع أن ثمنها لا يزيد عن المائة جنيه وورشة البرادين ينقصها مثقاب امريكي لا يزيد ثمنه عن الخمسين جنيها ذاك فضلا عن تأخير ادارة الجمعية في دفع رواتب المعلمين حتى انهم توقفوا عن العمل في الاسبوع الثالث من شهر ديسمبر الحاضر ان لم يأخذوا رواتبهم المتاخرة .

والذي اراه أن المدرسة في احتياج كلي الى مساعدة فعلية من الامة لتستطيع القيام بنفقاتها وتكميل ما ينقصها وليست هذه المساعدة التي نطلبها أن يمد الاغنياء ايديهم الى جيوبهم بل أن يقبلوا على شراء ما يصنعه التلاميذ وان يوصوهم بصنع ما يلزمهم ويلزم ذووهم من المصنوعات الخشبية والحديدية والاثاثات المنزلية وغيرها لينشطوهم من جهة وليسهلوا على القائمين بشؤونهم ترقية مدرستهم واتمام ما ينقصها .

وقد لا اجد مسوغا لاحجام الاعيان والاهالي عن اتمام هذه الرغائب الوطنية خصوصاً وان الحكومة لم تبخل على هذه المدرسة بمساعدتها بل أخذت توصيها بصنع كل مايلزمها من مصنوعات وأدوات مدرسية ومصلحية وغيرها ولولاها لاندثرت واصبحت في خبر كان

واني وأنا القبطي الصميم يحزنني أن أعلن للملأ هذه النقائص عن أمتي ولكن هي الحقيقة واجب اذاعتها عن أمة جامدة أمة ضعيفة امة كثيرة القول قليلة العمل بل أمة بخيلة شحيحة تحاسب على المليم وتسعي لاكتسابه بغض النظر عن مصلحة الملايين من النفوس *

وقد علمت أثناء زيارتي لهذه المدرسة التي يديرها عبد الملك

أفندي فهمي من خريجي مدرسة الصنائع الاميرية انها تسع مائة تلميذ وليس فيها الآ ن الا ٤٧ منهم خمسة مسلمون بينهم اثنان مجانا وثلاثة يونانيون ولا شك أنكم تتشوقون بعد هذا البيان لمعرفة عدد التلاميذ في كل فرقة وكل صناعة فاليكم الجدول الآتي منقولا عن ادارة الزراعة والصناعة بنظارة المعارف

السنة	البرادون	النجارون	مصاريف	مجانا	المجموع
أولى	٢٥	١١	٧	٢٠	٧
ثانية	٦	٣	٧	٢	٩
ثالثة	٣	٢	٣	٢	٥
رابعة	٤	٢	٢	٤	٦
المجموع	٢٨	١٩	١٩	٢٨	٤٧

(المدارس البطريركية)

في سنة ١٩٠٨ افتتحت مدرسة البنات الصناعية البطريركية في بولاق. وفي سنة ١٩٠٩ افتتحت مدرسة البنين الصناعية بجانبها وقد زرت هاتين المدرستين في الاسبوع الاخير من شهر دسمبر الحاضر فوجدتهما واقعتين في أربعة أفدنة وتفصلهما اسوار شاهقة امامقرهما ففي وسط أكواخ وازقة ضيقة مظلمة تملأها الاوحال والاقذار حتى لا تستطيع أن تصل اليهما الا بعد أن تبسمل وتحوقل لئلا تعلق بذيولك المكروبات القتالة التي تتطاير

منها فتقضي على صحتك ومع حيرتي التي تشبه حيرة الدار البطريركية في اصلاح هذه الطرقات وحصبها صيانة لارواح التلاميذ والتلميذات فقد علمت أن ناظر المدرسة وصفي أفندي سعد وضع تصميما لاصلاحها واشق طريق منها يتصل بشارع بولاق العمومي فلعل الدار البطريركية تعجل بتنفيذه حتى تزيد المدرستين رونقاً وجمالا

أما برنامج التعليم في مدرسة البنين المذكورة فيقسم الى قسمين صناعي وعلمي فالتعليم الصناعي يتعلمه الطلبة في انبارين (عنبرين) يحتويان على محارف (ورش) الخياطة وصناعة الاحذية والنجارة والبرادة والخراطة وسبك المعادن والسراجة والتنكرة (السمكرية) والعربات وذلك على الات تدار بقوة وابور كبير من صنع مدرسة الصنائع الاميريه ببولاق. ويتلقون العلوم في الصباح وبعد الظهر بالتعاقب على حسب النظام الذي وضعته ادارة الصناعة والزارعة بالمعارف وتنحصر في مبادئ العلوم الابتدائية وقواعد الرياضيات ومبادئ الهندسة الميكانيكية والرسم وذلك في غرف خاصة حاوية كل الادوات التي يحتاج المتعلم للتمرن عليها .

ويشترط على الطالب أن لا ينقص عمره عن ١٠ سنوات ولا يزيد عن ١٦ سنة ويتناولون جميعا طعام الظهر في المدرسة على نفقتهم وبواسطة طاه خصوصي يبيع لهم صحفة والخضار بثلاثة مليمات فقط .

وللمدرسة عدا ذلك جوقة موسيقية من الطلبة تعزف الان ١٢ دوراً عزفا مطربا مشجيا وستفتح في هذه السنة ورشة للآجر (الطوب

الاحمر) والتكليس (التبييض) وأعمال البناء على وجه العموم أما ناظرها وصفي أفندي سعد فهو رجل نشيط ومجتهد يبذل همته وأوقاته في تحسينها وتنظيمها . وتبلغ نفقاتها السنوية ١٧٠٠ جنيه تقريبا تتناصفها الدار البطريركيه وادارة الزراعة بالمعارف ويسرني كثيراً أن أعلن عناية نظارات الحكومة ومصلحة الاوقاف بتشغيل بعض ما يلزمها من المصنوعات والادوات في ورش هذه المدرسة وان أعلن كذلك اهتمام المستر ويلز مدير ادارة الزراعة والصناعة بالمعارف في تفقد حالتها ومؤازرته المتواصلة لرفع شأنها وتحسين برنامجها تحسيناً تدريجيا حتي يعادل برامج المدارس الصناعية الاميرية الكبرى.

على اني لاحظت أمراً جديراً بالذكر وهو اهمال المدرسة في تنشيط الطلبة بالمكافآت مع أن ذلك ضروريا جداً حتى يزدادوا اجتهاداً ومثابرة في حرفهم وحتى يشحذوا قرائحهم في اتقانها وتحسينها وكذلك لاحظت اهمالها في تعليم الطلبة أداب السلوك في حصص التعليم مع انه من أوجب الواجبات لترقية أخلاقهم وأدابهم

ويبلغ عدد التلاميذ الموجودين في المدرسة الآن ١٢٨ تلميذا منهم ٢١ مسلما نصفهم مجانيون ويهودي واحد يشتغل في الحدادة واليك جدولا بعددهم في كل صناعة مع بيان عدد الذين يدفعون منهم النفقات والذين يتعلمون مجانا .

المعتملات (الورش)	مجانا	مصاريف	المجموع
النجارون	١٦	٠٤	٢٠
البرادون	١١	٠٨	١٩
خراطو الخشب	٠٦	٠٠	٠٦
خراطو المعادن	٠٤	٤	٠٨
الخياطون	١٧	٤	٢١
الاسكافيون	٠٩	٠٠	٠٩
صناع الاحذية	١٢	٠٠	١٢
التنكاريون (السمكرية)	٠٢	٠١	١٤
النقاشون	١٣	٠١	١٤
صناع العربات	٠٤	٠٠	٠٤
المجموع	١٠٢	٢٦	١٢٨

(مدرسة البنات الصناعية)

اما مدرسة البنات فقد يجد الداخل اليها من الباب الخاص بها ساحة واسعة فيها ثلاثة مرشحات للماء مظللة بسقف من القرميد والى الجهة الشرقية من الباب غرفة الناظرة وفي وسط الساحة موقع المدرسة وهو عبارة عن طبقة واحدة منقسمة الى قسمين قسم للعلوم

وقسم للصناعات . وكلاهما مرتب ترتيبا جميلا ومنظف تنظيفاً حسناً حتى لا يمكن أن تجد هذه النظافة في اية مدرسة من معاهد العلم والصناعة في هذا القطر اميرية كانت أو اهلية . وتسع المدرسة ٦٠ تلميذه وفيها منهن الآن ٥٣ كلهن قبطيات ما عدا ٨ مسلمات بينهن اثنتان مجانتان وهاك جدولا بعددهن في كل فرقة .

السنة	مجانا	مصاريف	المجموع
تحضيرية	٠٧	٠٥	١٢
أولى	٠٩	٠٨	١٧
ثانية	١٠	٠٢	١٢
ثالثة	١١	٠١	١٢
المجموع	٣٧	١٦	٥٣

ويشترط لقبول الطالبة أن تكون بالغة من العمر عشر سنوات .
اما الاجرة المقررة عليها فهي ٤٠ غرشا فقط ويتناولن جميعا طعام الظهر في المدرسة مجانا وهو ثلاثة اصناف خضار وارز وحلوى ويتناوبن في ساعة الاكل خدمة المائدة وتنظيفها وكيفية تنظيمها وتنسيقها .
اما مدة الدراسة فهي اربع سنوات منقسمة الى قسمين صناعي وعلمي فالتعليم الصناعي تتلقاه الطالبات في الصباح وبعد الظهر أي انهن يمضين

نصف النهار بالتعاقب في غرف الغسل والطبخ والتفصيل والكي ثم يتلقين من العلوم مبادىء اللغتين العربية والانكليزية والحساب والجغرافيا وتدبير المنزل وهذه اول مدرسة من نوعها تعلم الفتيات الصناعة وتديرها الانسة فاني اوجين وهي سيدة في العقد الرابع من عمرها تتقن اللغات الانكليزية والفرنسوية والعربية ولها المام تام بالتعليم والتربية وعلى أداب راقية تمكن المتعلمات من الوصول الى اوج الكمال والتهذيب.

وقد علمت منها أن نفقات المدرسة تزيد على ٣٥٠ جنيها في السنة وانها أنفقت مع المستر ويلز الذي أثنت عليه كثيراً على أن تبني الدار البطريركية قسما تحضيريا للمدرسة تدخله البنات الصغيرات اللاتي يقل عمرهن عن العشر السنوات للتعليم والتهذيب ثم أكدت لي أن هذا المشروع سينجز في العام المقبل كما انها صممت بناء على ارشاد المستر ويلز على جعل المدرسة مجانيه حتى لا يكون هناك تفاضل أوشبه تفاضل الطالبات وحتى يكن جميعهن في مدرسة واحدة يضمهن التآلف والاتحاد بالرغم من التفارق بينهن في الغنى والفقر.

وبالاجمال فان حالة المدرستين على أحسن ما يمكن من النظام والتقدم ولا أغفل ذكر اسقفهما على انقضاء رقابة مرقص سميكة بك لهما حيث كان مرشدهما الوحيد في كل عمل وكل مشروع يعود عليهما بالفلاح والنجاح.

على أنه مهما كان رقي هاتين المدرستين فان اقبال الاقباط على تعلم

الصناعة فيها قليل جداً كما ان اقبالهم على مدارس الحكومة والمدارس الاهلية الصناعية التابعة للمديريات أقل بكثير . وقد أجمع الذين باحثتهم في هذا الشأن على ان اهمال الاقباط للصناعات وعدم اعتدادهم بها يرجع الى أسباب متعددة منها اعتبارهم الفنون والصنائع من الحرف الحقيرة التي لا يليق بابنائهم الاشتغال بها ولو أن اجورها أعلى من الرواتب الصغيرة التي يتناولونها من الخدمة في الدوائر الاهلية والاميرية ومنها أن أبناء الطبقة الاخيرة غالبا يتوارثون الصنائع عن اباءهم ويتعلمونها تعلما سطحيا في الحوانيت والمعامل ليتمكنوا من القيام باودهم في زمن أقل مما يقضونه في المدارس الصناعية ومنها انصرافهم الى الكسب والربح من وراء التعليم العقلي والادبي والاقتصادي

وقد تؤيد هذا البحث الوجيز الاحصائية الرسمية الاتية لتلك المدارس فان عدد التلاميذ الاقباط فيها عبارة عن جزء من ستة أجزاء بالنسبة لمجموع اخوانهم والواجب أن يكون ضعف هذا العدد. ولا ادري ماهي المزايا التى عادت علينا بتحقير الصناعة الى هذا الحد بل ولا أعلم العذر في عدم العناية بها مع أن من مصالحنا أن تكون نامية ومنتشرة بيننا وان يكون فينا من الاختصاصيين في فروعها ما يعادل على الاقل ما هو موجود عند اخواننا لنرد الاوربي عن مزاحمتنا على حاجياتنا ومرافقنا الحيوية .

واذا كان من مصلحة الامة أن تصرف همتها الى الصناعة وترقيتها

فليس لأنها مسألة تتعلق بترقية ابناء الغد ورجال المستقبل بل لان كل تقصير من هذا القبيل انما هو حرمان لها من أهم احتياجاتها وباب واسع لنفاد ثروتها وتأخير تقدمها فليفقه ذلك الذين يريدون الخير لامتهم ويهبون من سباتهم لالفات اخوانهم الى ضرورة الانصراف للعلوم الصناعية والفنية ليتمكنوا من منافسة غيرهم من جهة وليشتغلوا بصنائعهم وحرفهم في أي بلدة واي مكان احراراً من كل سيطرة وكل سلطة وهاك هو الجدول .

المدرسه	أقباط	مسلمون	المجموع
بولاق الكبرى	٣٩	١٣٥	١٧٤
ورشه بولاق	١٤	٢٨٠	٢٩٤
المنصورة	١٤	٠٧٧	٠٩١
أسيوط	٧٥	١١٤	١٨٩
محمد علي	٠٥	٣٢٤	٣٢٩
أبو تيج	٤٦	٠٤٤	٠٩٠
دمنهور	١١	١٤٥	١٥٦
طوخ	٠٣	٦٧	٠٧٠
الفيوم	٣٠	١٥٨	١٨٨
المجموع	٢٣٧	١٢٤٤	١٤٨٨

ثم هناك طائفة من صناع الاقباط تزيد على ٥٠ الف صانع يشتغلون في الصناعة والحياكة والخياطة والحدادة والنجارة والسراجة والخراطه وغيرها من الصنائع الوطنية المنتشرة في جميع انحاء القطر ولهم من الحوانيت والمعامل ما يزيد على ٣٠ الفا بينها ١٠ الاف حانوت للصياغ والجوهرجية وحدهم.

على انا نلاحظ بكل اسف أن هذه الصنائع تحتاج الى امور عديدة لتبلغ درجات الاتقان والكمال لانها لا تصلح لاتمام الشؤون الصناعية المطلوبة لقلة معلومات المشتغلين بها ومعظمهم من العامة الذين تعلموا حرفهم تعلما بسيطا أو ورثوها عن ابائهم كما اسلفنا القول .

واذا كان سدس الامة الذي يشتغل بالصنائع جاهلا ضعيفا فكيف يرجى للامة حفظ كيانها وموازنتها بين العناصر الاخرى الا يحسن بالعقلاء وقادة الافكار أن يوجهوا عنايتهم الى ترقية الصناعة وارسال البعثات الصناعية والفنية الى اوروبا لتخريج طائفة من الاختصاصيين تلقى على غيرها من الصناع ما تلقته حتى تسد هذه الثلمة وتعيد الى الامة مجدها الزائل ومدنيتها القديمة

وقد لا يعسر تأليف جمعية لهذا الغرض تصرف همتها الى جمع المال اللازم لنفقات تلك البعثات وتشجيع النوابغ من الصناع والفنيين حتى نصرف اموالنا فيما بعد على ابنائنا بدلا من اننا نصرفها الآن على غيرهم في ابتياع حاجياتنا المعيشية وضرورياتنا الحيوية .

وما دامت هذه هي الحقيقة المجردة فيجب أن نستيقظ ونعمل بايدينا العاملة وروسنا المفكرةوامو النا الطائلة والا فنحن بعيدون عن التقدم والمدنية وعن الحياة بعد السماء عن الارض !!!

﴿ الحياة الاقتصادية ﴾

٩

ورث الاقباط عن اجدادهم ملكة استثمار المال وادخاره والحرص عليه لانه كان عائلهم الوحيد الذي يذودون به عن انفسهم عوامل الظلم ويدفعون به نير الاضطهاد في عهد العرب وعصر الاتراك والمماليك ولا تزال صفحات التاريخ مملوءة بفظائع مروغة ارتكبها الولاة والحكام مع الاقباط لسلب اموالهم ومقتنياتهم. ففي زمن سعيد بن يزيد والى مصر في القرن السابع للميلاد سجن البطريرك يوحنا السمنودي وعذب عذابا شديدا تنفر منه الضواري فافتداه الاقباط بعشرة الاف قطعة من الذهب وفي زمن عبد الله بن عبد الملك بن مروان سنة ٧٠٥ طرح البطريرك اسكندر في السجن وافتدوه بثلاثة آلاف قطعة من الذهب وفي زمن ابن عبد العزيز فرضت جزية فادحة على الرهبان والاساقفة مقدارها الفا قطعة من الذهب وفي عهد بشر بن صفوان سنة ٧٢٥ قبض على اسقف اوسيم بالجيزة وعذب واهين فافتدوه ايضاً بثلمائه قطعة فقط لانهم جردوا في تلك السنه من ايراداتهم ومقتنياتهم وفي حكم عبد الملك بن مروان سنة ٧٥٠ قبض على البطريرك خائيل وعلى موسى اسقف اوسيم وعلى ٣٠٠ قبطي وقبطية

وزجوا في سرداب مظلم بعد أن نهبت اموالهم وتقدر بمائة الف قطعة من الذهب ولولا جيش الملك قرياقص حاكم النوبة وانتصاره على جيش العرب لخلاص اولئك المسجونين لقتلوا شر قتلة . وفي زمن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية سنة ٧٧٠ قبض على البطريرك مينا وزج في السجن فافتداه ابناء امته بخمسين الف دينار وفي زمن المنتصر في القرن التاسع سجن البطريرك يوسف وافتدي بالف قطعة من الذهب وفي زمن احمد بن طولون سجن البطريرك شنوده وافتدي باربعة الاف قطعة ومثلها سنويا وفي حكمه ايضاً سجن البطريرك خائيل الثالث وافتدي بعشرين الف قطعة وفي زمن الحاكم بامر الله سجن البطريرك زخريا وافرج عنه بالفي قطعة وفي القرن الحادي عشر سلبت ولاية مصر الكنائس واخذت اوانيها وامتعتها النفيسة وصارت تبيعها جهارا في الاسواق كما وضعت ايديها على جميع الاوقاف القبطية فلم تبق لها عينا ولا اثرا فاضطر الاقباط الى تحمل النفقات الباهظة لاعادة الاواني والامتعة بمالهم ثم قام ناصر الدولة وهدم الكنائس في وادي النطرون وذبح الرهبان وسجن البطريرك خريستودوس ولولا أن افتداه ابو الطيب القبطي كاتب هذا الوالي بثلاثة الاف دينار لما اطلق سراحه

وفي القرن الرابع عشر نهب الملك بيبرس من الأقباط ٢٠٠ الف دينار واحرقت جنود الناصر بن قلاوون كنيسة مارمينا ونهبت خزينتها وكانت أغنى خزائن المملكة المصرية على الاطلاق ليس

فقط لكثرة الأموال بل وأيضاً لكثرة الأمتعة الجميلة والأواني الثمينة الفاخرة كما نهبت ٧٠ كنيسة في أنحاء القطر وفي زمن السلطان الصالح نهبت مقتنيات وأواني وأموال كنائس المعصرة ومصر القديمة والجيزة وبولاق وشبرا وأخذت الأوقاف القبطية وكانت ٢٥ الف فدان وزعت على الامراء وفي زمن الملك المنصور سجن البطريرك متى وافتداه الأقباط بمائة الف درهم وفي حكم الخليفة المستعين الملقب (بالعادل) في القرن الخامس عشر قسم الاقباط الى ثلاث طبقات فيدفع كل فرد من كبار أغنيائهم ٤ دنانير سنويا عن نفسه فوق الجزية العامة وكل فرد من الطبقة الثانية دينارين والفقراء ديناراً واحداً وفي حكم الملك المؤيد اغتصبت أموال وبيوت الأقباط وفي زمن الملك الاشرف فرضت ضريبة فادحة عليهم وفي القرن السادس عشر افتدوا بعض اخوانهم المسيحيين بخمسة الاف قطعة من الذهب وفي القرن السابع عشر فرض الوالي العثماني جزية فادحة على نساجي الحرير وكلهم من الأقباط حتى خرب معاملهم وفي القرن الثامن عشر أخذ العربان وعساكر المماليك ينهبون منازلهم حتى لم يبقوا فيها شيئا يذكر ثم ضربوا عليهم ضريبة مالية قسموها الى ثلاث درجات الاولى يدفعها كل غني وقدرها ٥٢٠ بارة والثانية يدفعها كل فرد من أبناء الطبقة الوسطى وقدرها ٢٧٠ بارة والثالثة يدفعها الفقراء وقدرها مائة بارة وفي عهد علي بك الكبير ارغموا على دفع ١٠٠ الف ريال زيادة عن الضريبة المقررة عليهم. وفي عهد

حسن باشا القائد التركي الظالم نهبت منازل أغنيائهم واغتصبت ممتلكاتهم وفرضت عليهم فوق ذاك كله ضريبة قدرها ٥٠٠ كيس نقداً أي ٩٠ الف جنيه باعتبار الكيس ٣١٢ جنيهاً ونصف جنيه كما فرضت ضريبة على كتبتهم قدرها ٧٠ الف ريال وفي حكم عهدي باشا دفعوا ١٧ الف ريال فدية عن حيهم وفي أوائل القرن الماضي نهبت ممتلكاتهم وسلبت أموال المعلم أنطون أبو طاقيه والمعلم ملطي وغيرهما وفي اول حكم محمد على فرض عليهم ٢٠٠ الف ريال ليصرفها على جيشه دفع منها المعلم غالي ٥٠ الفاً والمعلم فيكتور جرجس ٣٠ الفاً

وزد على ذلك الضرائب الثقيلة التي كانوا يرغمون على دفعها والهدايا الثمينة التي كانوا ملزمين بتقديمها عند تولية أي وال والرشوة التى كانوا يقدمونها للولاة عند تعيين كل بطريرك لهم وعند بناء كل كنيسة وكل بيت وكل عمل وبالاجمال فان تلك الفظائع علمتهم كيف يحافظون على المال وكيف يستثمرونه وكيف يقتصدون في معيشتهم لمناهضة الحوادث ومكافحة الطوارئ الفجائيه والعدائيه التي كانوا واقعين تحت سيطرتها في عهد الحكومه الاسلامية كل تلك القرون والاجيال

وفضلا عن هذا فقد عرفوا قيمه المال لانهم كانوا متقلدين في كل عصر وفي كل ملك ادارة بيت المال وسائر الاعمال الهندسيه والحسابيه والطبية والصناعية والفنية وكل عمل آخر يحتاج الى علم وذكاء ونباهة وأمانة وكان يرجع اليهم وحدهم في حل المعضلات من الأمور

والمشكلات من المسائل المالية والاقتصادية . ولما ان تولى المماليك ملك مصر استوزروهم وقلدوهم الرقابة على دوائرهم وممتلكاتهم وأعمالهم لنباهتهم وامانتهم فظهر منهم أغنياء كثيرون امتلكوا الاطيان الواسعة والعقارات العظيمة بجدهم وجهادهم ومعرفتهم طرق الاقتصاد واستثمار الاموال وكان بين هؤلاء الاغنياء فريق من كبار المولين أمثال المعلم أنطون أبو طاقيه وجرجس الجوهري وابراهيم الجوهري وشكر الله جرجس وفلتيوس حنا وواصف المصري ولطف الله المصرى وملطي يوسف وغيرهم ممن كانوا من أصحاب الكلمة المسموعة والرأي الاعلى في دائرة البلاد وحكومتها .وما زالوا كذلك في عهد احتلال الفرنسويين لمصر حيث استلموا مقاليد الاعمال وجباية الاموال وعهد الى أحدهم المعلم شكر الله جرجس في اصلاح المالية المصرية فوضع نظام الرسوم والضرائب على طريقة عادلة ودقيقة وأنشأ دفاتر للعشور ورتب نظاما للجباية وطبع قسائم صغيرة لجمعها وعين صيارفة لتحصيلها بعد أن وضع كشفاً باسماء الكفور والعزب والبلاد وبعد ان قسم النواحي الي ثلاثة أقسام أعلى واوسط وأدنى بحسب مساحتها واهمية كل منها ثم انشأ خزائن لحفظ السجلات وبهذا العمل العظيم عرفت مالية البلاد ووضعت اول ميزانية لها . غير أن الاموال التي جمعت من الضرائب والعشور وقتئذ كانت قليلة جدا بالنسبة لفقر البلاد فاضطر نابوليون ان يستدين من المعلم جرجس الجوهري اولا ثم من المعلم انطون

ابو طاقية ثانياً حيث اقترض منه مبلغ ١٦٠٠٠٠٠ فرنك لا تزال دينا على الحكومة الفرنسوية الى الان ولا يزال احفاد هذا الممول الكبير احياء الى اليوم ومحافظين على جنسيتهم القبطية ودينهم الارثذوكسى بالرغم من رعويتهم لحكومة الجمهورية .

العصر الفضي للاقباط

تولى رجل الشرق العظيم محمد علي باشا ملك مصر فاستوزر المعلم غالي لادارة الشؤون المالية والداخلية فى مملكته ولما ان قتل عين ولده باسيليوس بك غالي مكانه وهو اول مصري منح لقب البكوية في عصر كانت الرتب فيه عزيزة المنال لاتمنح الا لافراد يعدون على الاصابع .

وقد نشر هذا المليك الكبير العدالة والحرية بين الامة وعطف على الاقباط بنوع خصوصي لامانتهم ونشاطهم فنبغ منهم افراد كثيرون وتولى فريق منهم الوظائف العالية ومقاليد الاحكام على الاخطاط التي كانت عبارة عن اقاليم صغيرة . اما كبار الممولين الذين ظهروا فى عصره فهم المعلم غالي والخواجا تادرس جلبي عميد عائلة جلبي وبطرس اغا عميد عائلة البطارسة وميخائيل اغا عميد عائلة المخائلة في دير مواس والمعلم حنا الطويل والمعلم عريان الطويل وعبد الشهيد اغا عميد بيت عبد الشهيد وغيرهم

وفي زمن عباس الاول وسعيد قبض الاقباط على ازمة الامور المالية والادارية ونالوا من الثروة الشيء الكثير مع مزاحمة الاجانب

الشديدة . وفي زمن اسماعيل ازدادوا أثراء لانصرافهم الى الامور الزراعية والتجارية والاقتصادية وظهر من كبار الممولين الخواجات بشاره عبيد عميد عائلة عبيد في قنا ومقار تادرس واخوان خياط عمد عائلة الخياط واخوان اقلاديوس ومشرقي عبد النور عمد عائلة عبد النور ومشرقي بجرجا وغيرهم كما ازدادوا نفوذا في دوائر الحكومة فتولى عزمي باشا رئاسة الديوان الخديوي وجرجس بك الفيشاوي سكرتاريته وعبد الله بك سرور وكالة مديرية الدقهلية وبشاي بك مخائيل ووهبه بك رزق الله الجيزاوي ودميان بك جاد وعريان بك تادرس رئاسة الكتاب في نظارة المالية على التتابع وتولى غيرهم ادارة المراكز في الاخطاط والاقاليم والقضاء في المحاكم المختلطه والمجالس الملغاة وفي اخريات حكمه عين نسيم بك شحاته عضوا في لجنة تصفية ديون الحكومة وفي ٥ ابريل سنة ١٨٨٠ شكل قومسيون التصفية الدولى وناب عن الحكومة فيه المرحوم بطرس باشا فوضع تقريراً هاما يرجع اليه عند الحاجة .

وفي عهد توفيق واوائل الاحتلال الانكليزى تقلد الاقباط الوظائف الحسابية والمالية والتشريعية وتوجهت عنايتهم على الاكثر الى الاشتغال بالاعمال المالية والزراعية والتجارية فانهالت عليهم الاموال من كل جانب تزيدهم نشاطا واقداما حتى صح فيهم قول من قال لا تنال الثروة اعتباطا أو عبثا وانما ينالها أهل النشاط والذكاء بجدهم وسهرهم بعد أن يذيبوا ادمغتهم في استنباط الوسائل وتدبير الحيل ومراقبة

الفرص ممايحتاج الى ذكاء وتعقل وسداد رأي .

وفي اوائل حكم بسمو اميرنا الحالي عباس باشا قلد المرحوم بطرس باشا وزارة المالية وقليني فهمي باشا مراقبة الاموال المقررة والمرحوم نخله بك يوسف البراتي ادارة سكرتارية المالية وغيرهم ادارة الاموال المقررة والحسابات لانهم اقدر من غيرهم في الاعمال الحسابيه والماليه حتى لا يمكن لمديرية أن تنتظم احوالها الماليه أن لم يكن باشكاتبها وكتبتها وصيارفتها من الاقباط . وهذا ما حدا الى بقائهم متقلدين لها الى اليوم .

العصر الذهبي الوهاج

زادت الحرية والعدالة التي عمت مصر بفضل جهاد الانكليز والرقي الاقتصاديّ السريع الذي نما في وادي النيل بهمة رجالهم سراة الاقباط وابنائهم نشاطا على العمل وعلى استثمار المال حتى اصبح جل همهم محصورا في اسباب الاثراء والربح من الاراضي والاملاك والسندات والاسهم والشركات كأن هضم الحكومه لحقوقهم في الوظائف الرئيسيه قد دفعهم الى ايجاد نفوذ لهم اقوى يستعينون به على حفظ كيانهم وسط بلادهم . وقد ظهر منهم افراد لا يقلون ثروة عن افراد اعظم بلاد غربيه ماليه ويملأون جوانب البلاد ويتفاوت ريعهم السنوي من ٤٠ الى مائة الف جنيه سنويا . ولهم عدة مصارف ماليه لاقراض الاهالي من ابناء العنصرين الاموال بفوائد قليلة رحمة بهم من طمع الاجانب

ومن كبار المولين الذين ظهروا في اواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ويمتلكون من الفي فدان الى ٣٠ الفاً هم الذين ترى أسماءهم أو أسماء أسرهم منشورة في الجدول الآتي

أسماء الافراد والاسر	مواطنهم	أسماء الافراد والاسر	مواطنهم
آل ويصا بقطر	أسيوط	عائلة سوريال	الجديدة شرقية
البطارسة	البلينا	عبد المسيح بك موسى	أكياد شرقية
آل عبيد	قنا	الخواجا واصف جريس	المنصورة
خليل بك ابراهيم	القاهرة	آل الملاخ	جرجا واسيوط
بشري بك وسينوت بك وراغب بك حنا	أسيوط	آل علم	اسنا
الخواجا اندراوس بشارة	الاقصر	عائلة عبد الشهيد	نزلة الفلاحين
اخوان اقلاديوس ومشرقي عبد النور	جرجا	آل الخياط	أسيوط
بولس بك حنا	أرمنت	ناشد بك حنا	أشروبة
عائلة المرحوم بطرس باشا	القاهرة	اخوان الياس بشاي	أسيوط
جرجس بك يعقوب	بني سويف	الخواجا قلاديوس قلته	»
سعيد بك عبد المسيح	المنيا	الخواجا مخائيل فلتس	صنبو
الخواجا حنا صالح نسيم	الفيوم	حبيب سوريال	مغاغه
اخوان شنوده المنقبادي	»	واخوان زقلمه	النخيلة

ويوجد أضعاف هذا العدد من الاغنياء يملكون من مائة الى الفي فدان والوف يملكون العقارات الواسعة والاموال الطائلة التي لا تعد ولا تحصى . وبالاجمال فان الاقباط يملكون نحو مليون ونصف فدان تقريباً من الاراضي الزراعية ونحو ٣٠٠ الف بيت أو بعبارة أوضح يملكون خمس ثروة القطر كله ذلك فضلا عما لهم من الالوف المؤلفة المخزونة في المصارف كما انهم أقل ديوناً من اخوانهم

على ان هذا الغنى العظيم الذي تتخذه الامم دليلا على النجاح والاصلاح والرقي أصبح من عوامل التأخر والانحطاط بيننا لان السواد الاعظم من أغنيائنا أو قل كلهم لا يهمهم ارتقت الامة أو تأخرت عاشت أو ماتت ما داموا في رخاء وعيش رغيد .زد على ذلك ان بعضهم يبذل الدنانير الصفراء على مائدة الخمرة أو على بنات الهوى أو على طاولة الميسر ولا يمد يده بدرهم واحد لصالح أمته . ولا يغرنك ما تسمعه عن الذين يتبرعون منهم بالمال لتشييد صروح العلم واقامة المستشفيات ومساعدة الجمعيات الخيرية فانهم سامحهم الله يتبرعون قولا حبا في احراز الشهرة الذاتية ويضنون فعلا بما يجودون قولاً

مستشفى مرقصي سمعنا بخبره منذ ست سنوات فأين هو؟ ملجأ للعجزة والفقراء سمعنا منذ عام بخبر انشائه فأين بابه ومكانه ؟ تمثال للمرحوم بطرس باشا سمعنا باقامته فأين وضع لقد بحثت عنه كثيراً فلم اجده ؟ كليات سمعنا بانشائها ففي أي مقبرة دفنت لنصلي على ضريحها

صلاة الجمود والموت ؟ ارساليات عامية قالوا بأنهم سير سلوتها الى أوربا على اجنحة الطير فهل طارت بها في الصحراء ودفنتها في الرمال ؟ بل سمعنا وسمعنا وسمعنا أقوالا كثيرة ومشروعات متعددة نشرتها الصحف وعلم بها الخاص والعام والسماء والارض والجبال والوهاد والحيوان والانسان ولم يتم منها شيء بل ذهبت كالهواء في الفضاء نشعر به ولم نره .

اللهم حنانيك بنا ورفقا أماتت العاطفة الكريمة التي أودعتها في صدورنا للعطف على الفقير والرفق بالضعيف والأخذ بيد الصانع والعامل والنابغ . أماتت تلك العاطفة التي كان يتبارى فيها أجدادنا مباراة خلدت لهم ذكراً وأبقت لهم عملا حسناً . نعم ماتت وذهبت ولم يبق لنا بعدها الا التأسي والذكرى

ولا يشك واحد بينكم في موت تلك العاطفة وأروني غنياً من أغنيائنا الذين يتفاوت ريعهم السنوي بين خمسة آلاف و٤٠ الفاً من الجنيهات بسط يده كل البسط في مشروع خيري بل اروني رجلا واحدا صرف من ريعه الف جنيه في أي مشروع مع انه لو صرف هذا المبلغ لما تغير نظام معيشته ولما تحول هناؤه الى شقاء ولا غناؤه الى فقر . انكم لن تجدوا هذا الرجل .

وضعوا أنفسهم موضع القادة للامه فاروني اي عمل انجزوه غير تزاحمهم على الرئاسه وغير تقاتلهم على تضحية الامه في سبيل امانيهم

وأثرلهم . فقوموا وقولوا لهم ان لنا نصيباً وافراً مما تملكون ان لنا عليكم حقوقا يجب أن ننالها عفواً أو قسراً بل قوموا واصرخوا في آذانهم باصواتكم العالية لعلهم يسمعون بل قوموا لتعلموهم ان كانوا لا يعلمون بأن بقاء سبعة أعشار الأمة في الفقروالجهالة وعـدم القدرة على تدبير شؤونها لمما يؤخر الثلاثة الاعشارمنها كانت مرتقية ومتحضرة

قوموا وقولوا لهم ان من الحرام في شريعة الله وشريعة الانسانية أن تقفوا ايها الأغنياء سداً منيعاً في وجوهنا فلا أنتم تعملون لصالحنا ولا أنتم تتركوننا نعمل بانفسنا وقوة نوابغنا وعقلائنا للمحافظة على كياننا ومستقبلنا قوموا واطلبوا من الصحف أن لا تكبر وتمجد فيهم الى درجة الالوهية ليعلموا ان الغني هو من ضحى حياته وماله لخير أمته لا الغني الذي يتخذ امته سلما يصعد عليه الى جبل الذهب وهيكل الفضة .

علموهم ان أغنياء الامم الاخرى يهبون أموالهم لامتهم ووطنهم وهو ثمرة جهادهم الطويل علموهم أن يتركوا أموالهم لامتكم والعلم والتربية الصالحة لاولادهم فهي أحسن تراث لهم علموهم أن المال من الوطن ومن الامة ويجب أن يعود الى الوطن والى الامة .

أما أنتم أيها الاغنياء فتذكروا ان عليكم واجبات مقدسة . تذكروا ذلك واعلموا اني ما كتبت بالقلم الصارم لاجرح عواطفكم بل لامس أوتار قلوبكم واحرك نخوتكم وشهامتكم وقوميتكم وحسبي من هذا

الحض رفع شأن أمتي وحسبكم من النخوة بقاء الذكر ومن الشهامة حسن الأثر ومن القومية بعد الصيت

الخاتمة

١٠

عدد الاقباط

كان عدد الاقباط عند دخول عمرو بن العاص ٣٠ مليوناً من النفوس وقد عاشوا في أمن وسلام نحو جيل من الزمان الى ان تولى عبد الله بن عبد الملك ولاية مصر فأصلاهم نارا حامية من الاضطهادات والمظالم حتى قيل انه كان لا يستقر للاكل في جوفه الا اذا ذبح قبطياً ثم زاد عليهم الضريبة فاضطر كثيرون منهم الى اعتناق الدين الاسلامي كما هاجر فريق عظيم الي الاقطار والامصار فرارا من هذه المظالم والاضطهادات التي اشتدت في حكم عصامة بن يزيد وقره بن شريك حيث تغالا في الظلم الى حد لا يحسن ذكره بل الى حد يثير العواطف ويدمي الافئدة

ولما ان تولى بشر بن صفوان ورد اليه كتاب من الخليفة يزيد بن عبد الملك يأمره فيه ان يخير الاقباط بين أمرين اما ان يعتنقوا الدين الاسلامي واما ان يتركوا البلاد وما يملكون فاختاروا الثاني حتى اصفرت أقاليم برمتها منهم ماعدا أقباط الشرقية فقد ثاروا على بشر واعلنوا عصيانهم عليه فدحرهم بجيشه وافناهم ثم تحول الى اخوانهم من سكان الاقاليم الاخرى واخذ يعمل في رقابهم السيف فاستشهد منهم كثيرون

ونسج خلفاؤه على منواله من المظالم والفظائع وكان أشدهم قسوة حنظلة بن صفوان حيث اذاقهم الامرين وارغمهم على اعتناق الدين الاسلامي ارغاما زادهم استشهادا وفناء . وقد لبثوا يتحملون كل هذه الاضطهادات المروعة الى زمن عبد الملك بن مروان الذي صب كاسات ظلمه ورجزه عليهم فثار عليه اقباط الوجه القبلي بقيادة بطريركهم ودحروا جيشه وافنوه ولم يكتفوا بهذا الانتصار الباهر بل ساروا مجدين خلفه حتى ادركوه وخذلوه كما هب اقباط الوجه البحري بقيادة المعلم يوحنا السمنودى واجهزوا على ما تبقى من جيشه وقوته بعد ان اعلنوا استقلالهم بملك مصر

رأى ابن مروان ما حل بجيشه وبملكه فاستغاث بامراء العرب فاعانوه بجيش عرمرم تمكن من الانتصار على الاقباط وعلى قمع ثورتهم ولكنهم لم يخلدهم الى السكينة بل انحازوا الى جيوش الدولة العباسية وقاتلوا معها جيش ابن مروان حتى طحنوه واسقطوا بسقوط عرشه الدولة الاموية.

على انهم مع كل تلك الخدمات التي ادوها للدولة العباسية لم يسلموا من اضطهاد ولاتها واضطروا لشدة ما اصابهم ان يثوروا في الوجه البحري في زمن يزيد بن حاتم فارسل اليهم جيشاً قويا لمحاربتهم واخضاعهم فاحاطوا به ومزقوه وانتهت هذه الثورة بمحاربتهم واخضاعهم بالقوة والعنف بعد ان ثبتوا في مواقفهم ثبوت الرواسي مدة من الزمن

حتى اضطروا ان يأكلوا جثث الموتى منهم لشدة الجوع كما روى المقريزي في تاريخه .

وقد ظلوا بعد ذلك يقاومون الاضطهادات بصبر وجلد حتى لم يبق في قوس صبرهم منزع فثاروا في زمن ولاية موسى بن علي ثم ثاروا في زمن المعتصم حيث قاموا عن بكرة ابيهم مقاتلين جيش العرب حتى انتصروا عليه انتصارات باهرة ومع تداخل المامون لاخلادهم الي السكينة ابوا الا الاستمرار على القتال حتى استفحلت ثورتهم وخشي الخليفة أن يذهب منه ملك مصر فجمع جيوشه وحاربهم حتى زحزحهم من اماكنهم فلاذاو بقلاع بابيلون(مصر القديمة)وتحصنوا فيها فهاجمها العرب وبعد كفاح شديد فتحوها .قال المؤرخون ولم يكتف العرب بما نالوا من النصر ولا من قتل جموع الثائرين واهلاك عائلاتهم بل داروا في طول البلاد وعرضها يقتلون الاقباط ويرغمونهم على اعتناق الدين الاسلامي فاستشهد الوف وأسلم كثيرون خوفا من الموت والذبح ومن ذلك الزمن صار يتناقص عدة الاقباط حتى قل عن عدد المسلمين ثم ازداد تناقصاً بما استعمله الولاة والسلاطين معهم من طرق التعذيب لاذلالهم وحملهم على ترك دينهم .

قال المؤرخ نيل الشهير لما ان انصرفت همة الخلفاء وولاة مصر لمحو الديانة المسيحية منعوا الاقباط من ركوب الجياد ورفتوهم من خدمة الحكومة وهدموا كنائسهم ونبشوا قبورهم ونهبوا أموالهم ومقتنياتهم ومنعوهم عن القيام بفرائض دينهم وأتلفوا الكروم حتى لا يجدوا خمراً

لاتمام فريضة العشاء الرباني . ونزيد عليه ان الحاكم بأمر الله عذبهم عذابا شديداً وسجن بطريركهم وسامه الخسف والهوان حتى يعتنق الدين الاسلامى لتنسج أمته على مثاله ولكنه بقى متحملا كل عـذاب كما بقى الاقباط يمارسون العبادة في بيوتهم وفي الكهوف والمغارات والجبال والوهاد ويقابلون كل اضطهاد بصبر وجلد عظيمين أدهشا الحاكم بأمر الله حتى قال ان ويلات العالم وضروب الزمان لا تقوى على هدم الديانة المسيحية في مصر فصدق قوله وتمت نبوته . وهكذا تقلب الزمان على مثال مارأيت وأخذ الاقباط يعانون المصائب العظيمة التي لم تعانيها أمة من قبل في هذا الوجود حتى دخل القرن الثاني عشر وأمعنت جنود الامير شركويه فيهم قتلا ونهباً فأضرموا نار الثورة حتى قتل منهم خلق كثير ثم خيروا في زمن صلاح الدين بين الاسلام والقتل فاختفى وقتل وأسلم ألوف منهم وبعدها عانى الاقباط صنوف العذاب في القرن الرابع عشر فعطلت كنائسهم وارغم كبارهم على اعتناق الدين الاسلامي وقتل منهم عدد لا يحصى في أنحاء القطر كما ذبح الرهبان والقسوس حتى أصبحوا كالاغنام تساق بالالوف الى المجازر حتى مل القاتلون الذبح وعافت نفوسهم مناظر الدماء زد على ذلك ضروب الاذلال والاهانة والقسوة الشديدة التي كانوا يعاملون بها والاضطهادات التي كابدوها في عصر الاتراك والمماليك فضلا عن المجاعات والاوبئة التي كانت داء موضعياً في مصر بسبب المظالم واهمال مصالح البلاد وتفشي الجهل والغطرسة في

عقول متولي أمور العباد وهكذا ما احتل الفرنسويون مصر حتي كان عدد الاقباط لا يزيد عن المائتي الف جيش منهم الجنرال يعقوب نحو ثلاثة ألاف عسكري وحارب بهم جيوش المماليك والشراكسة في الثورات التي شبت أثناء ذاك الاحتلال

وبعد أن تولى محمد علي ملك مصر استراح الاقباط من الاضطهادات والويلات الشداد وأخذوا ينمون حتى بلغ عددهم في سنة ١٨٨٢ نحو ٥٠٠ الف ثم بلغوا في تعداد سنة ١٨٩٧ ـ ٦٠٩٥١١ نفساً وفي التعداد الاخير ٧٠٦٣٢٢ نفسا. والحقيقة أن عددهم يزيد عن مليون نسمة لان أكثر الذين عينتهم مصلحة الاحصاء كانوا يتعمدون اغفال كثير من منازل الاقباط عن الحصر حتى شكا كثيرون من هذا الاغفال فحبذا لو ان جمعية كبرى كجمعية التوفيق قامت بأمر تعداد الاقباط في البلاد وهو لا يكلفها تعبا ولا مشقة سوى أن تطبع الدفاتر اللازمة للتعداد وتوزعها على الابروشيات لانجاز هذا العمل حتى تقف الامة على تعدادها الحقيقي.

الموظفون الاقباط

قل عدد الموظفين الاقباط في عهد الاحتلال حتى أصبحوا ٣٠ في المائة بعد ان كانوا ٩٠ في المائة بالرغم من اقتدارهم وذكائهم وحيازتهم لشروط الاستخدام وياليتهم مع تلك القلة تساووا باخوانهم في الوظائف الرئيسية ولكنهم هضمت حقوقهم فيها وحرموا منها دون مسوغ شرعي

من تقلد الوظائف الادارية التي كانت مقصورة عليهم ومن الترقي في الجيش والبوليس وباقي الوظائف الاخرى

ومن الغريب ان يذهب الانجليز مذاهب شتى في هذا الحرمان اعتماداً على آراء ومشورة بعض الوطنيين مع انه في الحقيقة مثير لعاطفة الانشقاق في الامة كلها ومنشط لروح التفريق بين أبناء العنصرين بلا جدال

ولقد اجمع مونتسيكو وروسو واللورد افبري وغيرهم من الفلاسفه وكبار المصلحين ان الطريق الوحيد لتوطيد دعامة السلام بين عناصر الامم هو العمل بمبدأ المساواة بين أفرادها في كل شيء حتى لا تتولد في نفوسهم عاطفة العداء لبعضهم بعضاً . وقال الوزير كيزو الفرنسوي الشهير في مؤلفه تحضر الامم الاوروبية ان المراكز الادارية يجب حتما ان تكون موزعة بين عناصر الامة على السواء لانها أعظم واسطة لانتظام الهيئة الاجتماعية وارتقائها وتقريب العناصر الوطنية بعضها من بعض وضمها جميعاً تحت راية التآلف والتسامح والا فلا مناص لها من التأخر والتحزب والتقاطع وانتشار روح التعصب بين أفرادها . والواقع يشهد ان المصريين الذين يرون دائماً أبداً مديري الاقاليم ومأموري المراكز ورؤساء المصالح والحكمداريين وغيرهم كلهم من أبناء عنصر واحد أصبحوا يشعرون بان هناك تفاضلا حقيقياً بين المسلم والقبطي وأثر هذا الشعور تأثيرا مفرطاً في مجرى الاحوال والحوادث

والنظام في البلاد بل دفع البسطاء والسذج من أبناء العنصر المميز عن غير حق وعدل الى اعتبار التمييز قاعدة يسيرون عليها في احراج صدور اخوانهم كما هو الجاري الآن في سائر أنحاء القطر وان حجبته قوة الاخاء وعاطفة التآلف الموجودة في صدور العقلاء

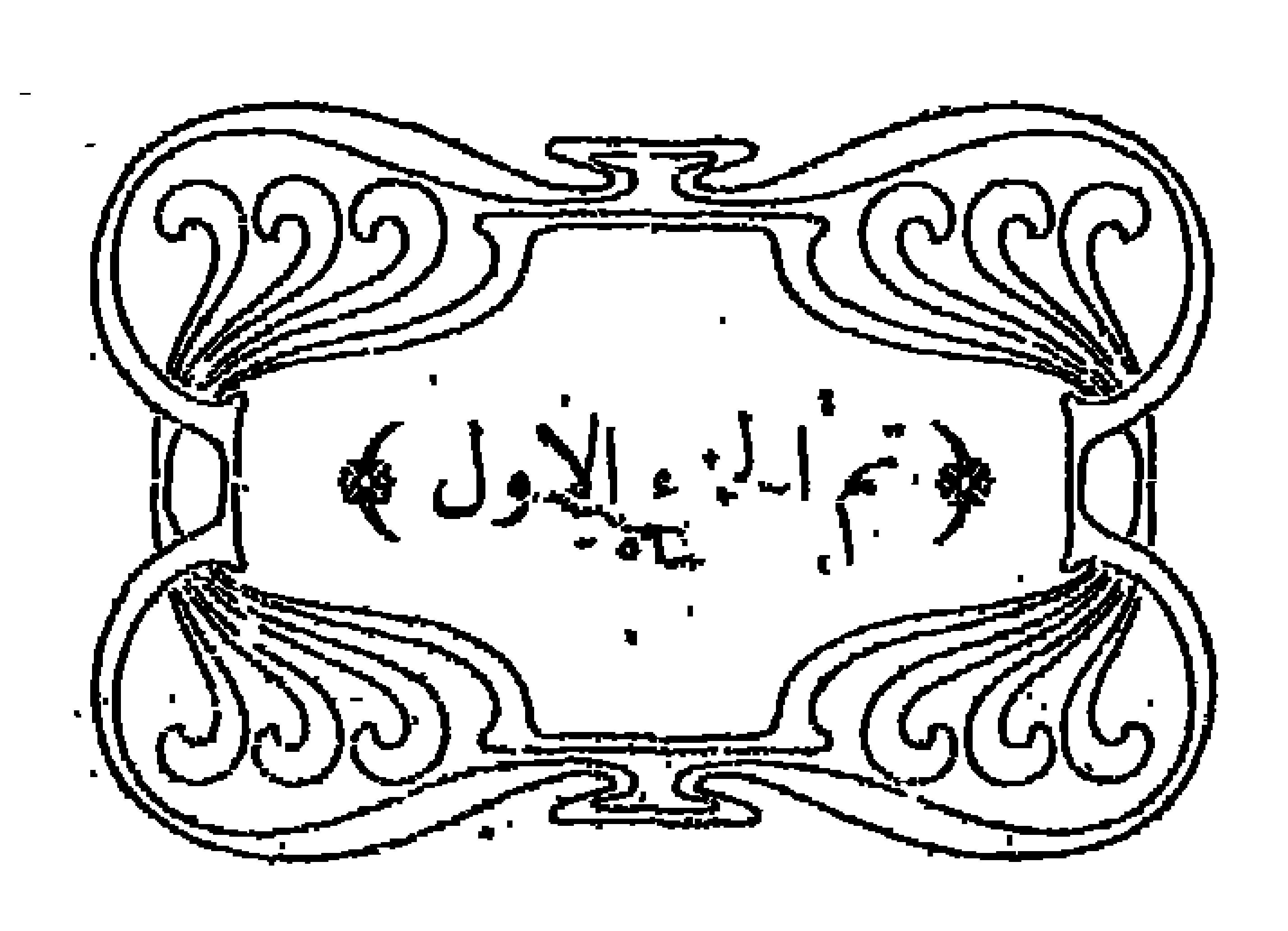
واذا كانت العدالة والحرية اللتان أحياهما الانكليز في مصر قد انتجتا النظام والهدو والراحة والثروة والتمدن فخليق بهم وهم أصحاب السلطة الفعلية في البلاد أن يجعلوهما سبيلا للمساواة بين أبناء العنصرين في الوظائف الرئيسية لا ليعطوا الاقباط فقط من الرواتب ما يوازي الضرائب التي يدفعونها وهي خمس رواتب اخوانهم بل ليبثوا روح التساهل في الامة وليقتلوا تلك العاطفة الشريرة من صدورها وهم أول من يعلم ان المساواة هي الشقيقة الثالثة للعدالة والحرية وبدونها لا يكون لهما تأثير ما في تمدين البلاد وارتقائها

ولطالما قيل ان سياسة الحكومة كانت منطوية على نشر مبدأ التساهل بين العنصرين باحياء روح المساواة والاخاء بينهما حال كونها رأت بعينها المساعي المبذولة لمنع انتخاب الاقباط في مجالس المديريات والبلديات وغيرها وحال كونها رأت أنه لا وسيلة لترطيب الاخلاق سوى أن تبدأ بالمساواة في دوائرها لتنتقل منها الى مجالس الشعب والى قصور الاغنياء وأكواخ الفقراء

ولا يسعني اطالة الشرح في هذا الموضوع الذي كثر فيه البحث

منذ زمان طويل وانما اقول لكم ان وقت العمل والنهضة قد آن فانهضوا من نومكم بكرة أبيكم وطالبوا بحقوقكم المهضومة مادمتم تعمرون قبل غيركم خزينة الحكومة والبلاد يل قوموا وانهضوا لتضعوا حداً لهذا التفاضل مهما كانت المصلحة التي من أجلها تستعمل الحكومة تلك السلطة لتنفيذها اعلانكم أنتم سادة الوطن وأصحابه الاصليون وأولى من يغار عليه وعلى شرفه واعلاء مكانته والا فاعلموا انه سيأتي عليكم يوم فيه ترون انفسكم عبيدا اذلاء للغير كما انتم ترون اليوم انفسكم ضعاف الحول والطول منحطي المكانة والمنزلة والسلام عليكم يوم نشأتم ويوم رقدتم ويوم تبعثون احياء

في ٣١ ديسمبر سنة ١٩١٠



...ننا في الوقت نفسه أن نتأكد كما تأكد أجدادنا أن الذرية التي
..در منا نكون مخلدة ولا تقبل الفناء

ولا يهولنكم أسرى العواطف الذين لا يفتكرون الا في وجودهم
..خصي ومعيشتهم الخصوصية فيتوهمون الامة في درجة عالية من
التقدم والارتقاء ويؤلمهم كشف العوارض والامراض الاجتماعية في
جسمها ولو كان في اظهارها ومعالجتها احياء لهم وموت لها وفي بقائها فاشية
ممتدة انحطاط لهم وعار خالد .

وبالاجمال فان حياتنا الاجتماعية الحاضرة مبنية على مجرد نظامات
سطحية خالية من كل ما يعين على الارتقاء فوق ماينضوي تحتها من الميول
الافكار البالية القديمة ولا ريب ان حياة كهذه تدعو الى انقلاب عظيم
نصل الى الكمال وبه تكون لنا بيوت تحدث عن شخصيتنا ومدارس
ن مظاهر ارتقائنا وصناعات عن حضارتنا وعلائق وثيقة تحدث عن
مورنا كما يحدث وجودنا عن قوميتنا وقوميتنا عن وطننا ووطننا عن
..نيتنا العالية التي أحييناها في صدور الامم قبل ان تفقه لها معنى
..يم لها وزنا

تلك هي كلمتنا نناديكم بها ... نشكر حضرة الاديب كيرلس
..دي تادرس المنقبادي نجل صاحب جريدة مصر على مؤازرته لنا المادية
..طبع هذا الكتاب الذي أزفه اليكم وأسأل الله أن يحقق أمانينا وأمانيكم
..ن يلهمنا واياكم سبيل الرشاد

